

لينين .. والفلاحون


لينين
و
الفلاحون

جانب هام من الكفاح الوطنى فى روسيا

لا شك ان الربع الاخير من القرن التاسع عشر كان من أصعب الفترات فى تاريخ روسيا فعلى الرغم من صدور قانون الاصلاح الزراعى عام ١٨٦١ استطاع الاقطاعيون أن يسيطروا على اكثر من نصف الاراضى المخصصة للفلاحين الذين وجدوا انفسهم مضطرين الى استعادتها بأثمان تربو على ثلاثة أضعاف قيمتها الحقيقة انه كان عليهم فى الواقع أن يدفعوا فدية كبيرة مقابل حريتهم . هذا بالاضافة الى الضرائب الباهظة المفروضة عليهم لمقابلة احتياجات الجيش والبوليس والمصالح الرسمية والبلاط القيصرى ولقد عبرت عن الوضع فى ذلك الحين هذه الجملة الساخرة الحزينة :

« واحد خلف المحراث وسبعة مستعدون بملاعقهم »

فى السنوات الاولى التالية لاصلاح عام ١٨٦١ تمكنت الطبقة البرجوازية الروسية الصاعدة ان تشترى أراضى واسعة بسعر ٣ روبل للدسياتنا وهى قطعة من الأرض تعادل ٢ر٧ هكتار وحصل البرجوازيون على هذه الأراضى من الفلاحين الفقراء وتمكنوا من تأسيس مزارع ضخمة :

وكانت الأراضى الفقيرة القليلة الباقية لدى الفلاح لا تقوم بأود عائلته مما جعله مضطرا الى استئجار مساحات أخرى من الاقطاعى وكان ذلك يتم عادة بنظام الزراعة الذى يحصل بمقتضاه مالك الارض على نصف المحصول وشمل الفقر عائلات كثيرة حتى ان ٣٠٪ من الفلاحين لم يكن لديهم حصان وهو وسيلة الجر الرئيسية واضطر الكثيرون الى ترك مزارعهم والهجرة الى المدن للبحث عن اعمال موسمية .

واستطاع لينين ان يطور النظرية الماركسية فى ميدان الزراعة بعد أن حلل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فى روسيا تحليلا دقيقا أثبت ضرورة وامكانية تحالف البروليتاريا والفلاحون واوضح أهمية دور هذا التحالف فى مختلف مراحل الثورة وبناء الحياه الجديدة .

وعلى أسس علمية أثبت لينين أن الراسمالية فى روسيا قد

وصلت الى مرحلة متقدمة بحيث لا يمكن تحطيم سطوتها الا بواسطة الطبقة العاملة وتحت قيادة حزب ماركسى وأشار الى أن عمال المصانع هم الممثلون التقدميون لكل سكان البلاد المستغلين بما فى ذلك الفلاحون ، وأوضح ان ظروف عملهم وأحوالهم المعيشية تسمح بل تشجع على تكوين بروليتاريا صناعية يمكنها أن تقوم بكفاح سياسى وطالب الطبقة العاملة ليس فقط بأن تنضم الى الكفاح ضد القيصرية بجانب الفلاحين وغيرهم من الطبقات المضطهدة بل عليها ايضا أن تقود هذا الكفاح وهكذا اصبحت هذه الفكرة أساس كل الخطوات والتصرفات التى قام بها لينين فيما بعد ووجدت انعكاسا كاملا فى برنامج الحزب اللينينى للاصلاح الزراعى ، ففى هذا البرنامج تدارس الحزب المشكلة الزراعية فى ضوء الواجبات السياسية لحزب البروليتاريا الماركسى وكجزء متكامل من كفاحه الوطنى ضد القيصرية والاقطاع والراسمالية وكانت كل المبادىء الاساسية التى وضعها ليتين والبولشفيك فى هذا البرنامج تهدف الى القضاء على عبودية الفلاحين وتطوير الصراع الطبقى فى الريف والحصول على الحريات الديموقراطية .

وبالطبع لم يكن اغلب الفلاحين ينتمون الى الطبقات المستغلة بل كانوا كذلك يعانون من ضغط فظيع من جانب الاقطاعيين والراسماليين وكان الفلاحون يأملون أن تخلصهم الثورة البرجوازية الديموقراطية التى بدات شواهدها تلوح فى الافق من استغلال ملاك الاراضى وان توزع الارض على الفلاحين وان تجتز كل آثار العبودية . وقد أدت المصالح المشتركة الاقتصادية والسياسية للعمال والفلاحين فى كفاحهم ضد القيصرية والعبودية .. الى خلق الظروف الضرورية لقيام تحالف قوى بقيادة العمال .

وكانت المشكلة الزراعية « مشكلة توزيع الأرض » هى حجر الزاوية واساس الثورة البرجوازية الديموقراطية بل أن هذه المشكلة هى التى حددت السمات المحلية لهذه الثورة .

وفى عام ١٨٩٩ لاحظ لينين فى (مسودة برنامج حزبنا) أن طبقة الفلاحين لم تعد منعزلة وعليه فلم يعد من الممكن على المرء أن يتجاهل الصراع الطبقى فى الريف الا اذا عزل نفسه تماما عن كل ما يدور فى روسيا ، ولقد دافع لينين عن هذه الفكرة بقوة فى «البرنامج الزراعى للحزب الروسى الاشتراكى الديموقراطى» المعلن عام ١٩٠٢ .

فكتب اننا نتمسك « بأن الصراع الطبقي هو العامل الرئيسي للعلاقات في محيط الزراعة في روسيا ومن ثم فنحن نضع سياستنا الزراعية وبالطبع برنامجنا للاصلاح الزراعي على اساس الاعتراف المطلق بهذه الحقيقة وبكل ماينبع عنها » .

واعطت مطالب البرنامج اللينيني للاصلاح الزراعي اهدافا واضحة لحركة الفلاحين كما كانت ترمى الى تغيير جذرى ديموقراطي فى العلاقات الزراعية .

وأعلن لينين فى عمله الكلاسيكى « برنامج الاصلاح الزراعى للحزب الاشتراكى الديموقراطى فى الثورة الروسية الأولى فى الفترة من ١٩٠٥ الى ١٩٠٧ » . ان تاميم الارض هو الوسيلة الوحيدة لاجتزاز كل آثار العصور الوسطى فى محيط الزراعة كما أنه خير ما يمكن الوصول اليه فى محيط العلاقات فى مجال الزراعة حتى تحت ظل الراسمالية . ويعتبر هذا مثالا رائعا لتطوير النظرية الماركسية الثورية وتطبيقها بمهارة تمشيا مع الظروف التاريخية السائدة فى روسيا .

وبهذا اعطى لينين اجوبة شافية على كل الاسئلة الحيوية وأوضح الخطوط الرئيسية لحل مشكلة الاصلاح الزراعى فى صالح الطبقة العاملة وعمال الزراعة فى كل من الثورتين البروجوازية الديمقراطية والاشتراكية . وأيد الفلاحون الروس البرنامج اللنينى فى أثناء الثورة البرجوازية الديمقراطية الاولى فى روسيا فى الاعوام من ١٩٠٥ الى ١٩٠٧ ولقد فشلت هذه الثورة فى حل مشكلة الاصلاح الزراعى وغيرها من المشاكل التى اعترضتها ولكن على الرغم من هزيمة الثورة الا ان الأسباب الدافعة لها بقيت جذورها بدون تغيير كما بقى الهدف الأساسى للبولشفيك وهو الحصول على النصر الكامل للثورة الديمقراطية البرجوازية ثم تطويرها الى ثورة اشتراكية وبالطبع لم تنفذ كذلك المطالب الرئيسية للحزب وهى .. جمهورية ديمقراطية ـ مصادرة اراضى الاقطاعيين لصالح الفلاحين ـ تحديد يوم العمل بثمانى ساعات ـ حق الشعوب فى تقرير المصير وغيرها .

وبدأ الحزب الطبقة العاملة فى تحقيق المكاسب على حساب البرجوازية ، واثبت واقع الحياة للفلاحين انهم لن يحصلوا على الأرض وبالتالى على الحريات الديمقراطية من البرجوازيين الا بمساعدة البروليتاريا وفى مقدمتها الحزب البلشفى المناضل وهى القوة الوحيدة التى يمكنها أن تساعد الفلاحين . وقد اسهمت الحرب العالمية الاولى التى بدأت فى اغسطس ١٩١٤ فى

ابراز كل المتناقضات في روسيا وجعلتها تطفو على السطح وادت الى زيادة سرعة نمو القوى الثورية ففى السنة الاولى من الحرب جند ٧ر٤ مليون فلاح وأرسلوا الى الجبهة وتوقفت المصانع وتناقصت المساحة المزروعة وكتب لينين ان الحرب ادت الى المجاعة في المدن والى الخراب في الريف وافتقدت كثير من المزارع الصغيرة وحيوانات الجر والأدوات الزراعية ولقد أدت هزيمة الجيش القيصرى والوضع الاقتصادى السىء الى تزايد الاضطرابات العمالية والى تصاعد التحركات الفلاحية ضد الاقطاعيين كما ساءت معنويات الجيش وتلخصت كل مطالب البولشفيك والعمال والفلاحين والجنود فى الشعارات التالية :

« فليسقط القيصر ! » ـ « فلتسقط الحرب ! » ـ « نريد الخبز ! » .

وانضم الجنود وهم فى الواقع فلاحون وعمال ، فى معاطف الجيش ، الى صفوف الثوار .

الى الأمام من أجل النصر الكبير

وفى فبراير ١٩١٧ سقط حكم أسرة رومانوف الذى استمر ٣٠٠ عام في روسيا .

وانتصرت الثورة الروسية البرجوازية الديمقراطية الثانية وسيطرت على كل انحاء البلاد وفى كل مكان وازيل ممثلو القيصرية من مراكز الحكم والسطوة وحلت محلهم منظمات من الثوار وهى مجالس العمال والجنود . ونشأت فى القرى مجالس الفلاحين والعمال الزراعيين ، وكانت الطبقة العاملة هى القوة الرئيسية للثورة بعد أن استوعبت فكرة لينين عن ضرورة التحالف مع جماهير الفلاحين الواسعة .

ولم تتمكن البرجوازية رغم تأييد حكومات انجلترا وفرنسا من اعادة الملكية الى البلاد الا أنها تمكنت من اقامة حكومة مركزية بجانب مجالس السوفييت ، وبينما كانت مجالس السوفييت تحاول تثبيت دكتاتورية العمال والفلاحين كانت الحكومة المركزية تسعى الى اقامة دكتاتورية مركزية وقامت الحكومة المركزية من وراء ظهر الشعب بالاتفاق مع اللجنة الحكومية المركزية (الدوما) واحزاب البرجوازية الصغيرة مثل الاشتراكيين الثوريين والمنشفيك الذين كانوا تسربوا الى مجلس « سوفييت » بتروجراد .

ولقد تمكنت البرجوازية من اغتصاب مركز القوة لان جماهير البروليتاريا الواسعة لم تكن منظمة تنظيما كافيا كما لم يكن لديها

وعى سياسى كاف . واذا أضفنا الى ذلك أن عشرات الملايين الذين لم يمارسوا السياسة من قبل بأى شكل من الاشكال قد اشتركوا فى الثورة لادركنا سبب ظهور تلك الموجة التى دفعت الى القمة الاحزاب الداعية الى التعاون الطبقى ووضعتها فى مركز القوة فى السوفيتات وغيرها من المنظمات الشعبية ، وكان حزبا الثوار الاشتراكيين والمنشفيك هما أبرز الأحزاب الممثلة للبرجوازية الصغيرة .

وكانت أهم مميزات ثورة فبراير هى ازدواج السلطة الذى نشأ فى أول أيامها بين الحكم البرجوازى بواسطة الحكومة المركزية وحكم العمال والفلاحين الثورى الديمقراطى ممثلا فى مجالس السوفييت .

وكان حزبا الثوار الاشتراكيين والمنشفيك يعتقدان أن البرجوازية تقوم بالدور الرئيسى فى الثورة وعليه ، فلها الحق فى الحصول على السلطة وكان لهذين الحزبين فى ذلك الوقت أغلبية فى المجالس « السوفييت » وتصور الحزبان أن على هذه المجالس أن تعضد البرجوازية كما لم يقبلا اطلاقا حكم العمال والفلاحين الثورى الديمقراطى ودفعوا المجالس بكل طاقاتهم لكى تتحول الى شريك للبرجوازية وحاولوا أن يقنعوا الأمة أن تؤجل حل مشاكل السلام والارض والخبز . وهكذا أيد حزبا المنشفيك والثوار الاشتراكيين الاتفاق مع البرجوازية بطريقة مكشوفة وبدأوا صراعا لتعزيز وتقوية النظام الراسمالى .

وكان السؤال الملح هو : الأرض لمن تكون ففى الجزء الأوروبى من روسيا القيصرية كان ٣٠ ألفا من الاقطاعيين يمتلكون ٧٠ مليون دسياتينا بينما كان ١٠٫٥ مليون من الفلاحين المعدمين يمتلكون ٧٥ مليونا دسياتينا ورغم أنه يبدو أن العائلة الواحدة كانت تمتلك فى المتوسط ٧ « دسياتينا » الا أنه فى الواقع كان الملايين من الفلاحين لا يملكون شيئا وفى نفس الوقت وعلى سبيل المثال كانت اقطاعيات الكونتات سويرينسكى والامراء فولكونسكى تشغل مديريات كاملة .

وكان اقطاعى واحد مثل روكا فيشينكوف يمتلك اكثر من ٨٠٠ الف ديسياتينا وكان جوليتسين يمتلك أكثر من مليون ، وكان القيصر وهو اكبر ملاك الاراضى فى روسيا يمتلك وحده ٧ مليون ديسياتينا ، ومن المثير أن يمتلك وحده أرضا تزيد على ماتمتلكه مليون عائلة من الفلاحين . وكانت ٣٠٪ من مزارع الفلاحين تفتقر الى الحقول و ٣٤٪ منها تفتقد الادوات الزراعية بل أن ١٥٪ منها لم تكن تزرع لعدم قدرة الفلاحين . وكان معظم

الفلاحين لا يأكلون اللحم الا مرات قليلة فى العام وكان السكر يعتبر غذاء فاخرا من العسير الحصول عليه .

ولم يكن لدى ٦٥٪ من الفلاحين القوميين الدقيق الكافى لغذائهم حتى يحين وقت المحصول الجديد .

ولم تعط ثورة فبراير الأرض للفلاحين فلم تجرؤ الحكومة المركزية على لمس الاقطاعيات وحاولت ان تؤجل حل مشكلة الاصلاح الزراعى بكل الطرق .

وبعد سقوط القيصرية ثار الفلاحون على الاقطاعيين .

فعندما وصلت أنباء ثورة فبراير الى الفلاحين بدأوا فى كثير من المناطق فى تقسيم اراضى كبار الملاك .

ولجأت الحكومة المركزية الى طرق الحكومة القيصرية التقليدية للقضاء على حركات الفلاحين الثورية . ففى مارس ١٩١٧ بدأت محاكمة كل من اشترك فى حركات الفلاحين ضد ملكية الاراضى . وأرسلت فرق عسكرية تأديبية الى مديريات كورسك وموجيليف وبيرم .

واعتبر البرجوازيون وانصار الطبقات أن استيلاء الفلاحين على الأرض ماهو الا أمر مؤقت ، ونادوا بمصالحات ودية بين الفلاحين وملاك الأراضى . اما لينين فقد وجد أن هذا الاستيلاء ان هو الا استعادة حق الفلاحين الطبيعى وأشار الى عدم امكانية الوصول الى اتفاقيات فى صالح الفلاحين بموافقة الملاك وكتب قائلا : « فلتتخذ الاغلبية قرارها اننا نريد أن يحصل الفلاحون على الارض الان بدون تأخير لمدة شهر أو أسبوع أو حتى لمدة يوم واحد » (١) ودعا البولشفيك الفلاحين الى الاستيلاء على الأراضى فورا كحل للمشكلة بطريقة ثورية وبدون انتظار انعقادالهيئة التأسيسية ، ودعاالى تكوين مجالس سوفييت من الفلاحين ومن الزراعيين فى كل مكان .

وفى تلك الظروف الصعبة وتحت ظل ازدواج السلطةاستطاع حزب البلشفيك أن يكسب الى جانبه غالبية العمال والفلاحين حيث أنه كشف بوضوح مناورات الثورة المضادة التى تقوم بها الحكومة المركزية التى كانت تحاول خداع المواطنين والاستمرار فى الحرب وتأجيل حل مشكلة الاراضى الزراعية . وشرح حزب البلشفيك للمواطنين أن الطريق الوحيد للحصول على السلام والخبز والارض للعمال والفلاحين والجنود هو وضع السلطة فى أيدى الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء . بل وأن هذا سيخلق

---

(١) لينين . مجموعة اعمال ٣٢ صفحة ١٧٤ .

الظروف الملائمة لبناء حياة جديدة .

وفى ٣ أبريل « ١٦ حسب التقويم الجديد » ١٩١٧ عاد لينين الى روسيا من الخارج حيث كان مضطرا للاقامة حتى لا يعدم بواسطة السلطات القيصرية . وبينما كان فى الخارج استطاع بعبقريته أن يحدد المرحلة الجديدة من تطور الثورة الروسية ففى « خطابات من بعيد » وفى أعمال اخرى تراه يحث العمال على الاعداد للمرحلة الثانية من الثورة وهى المرحلة الاشتراكية التى سيكون على البروليتاريا ان تقوم بها مع حلفائها من المدينة والريف . ويضيف لينين أن هذا الحلف وحده هو القادر على حل مشكلة الارض للفلاح ومشكلة الحرية الكاملة ووضع السلطة فى أيدى الشعب .

وفى رسالة أبريل الشهيرة التى كتبها لينين فى اليوم التالى لعودته الى بتروجراد حدد بوضوح طرق تطوير الثورة وانتقالها من المرحلة البرجوازية الديمقراطية الى الاشتراكية ، فكتب « ان الوضع الحالى فى روسيا يعتبر مرحلة انتقال بين المرحلة الأولى من الثورة التى انتقلت فيها السيطرة الى البرجوازية نتيجة لنقص الوعى السياسى والتنظيم لدى البروليتاريا وبين المرحلة الثانية التى ستصبح فيها السيطرة فى يد البروليتاريا والفلاحين المعدمين (١) .

وبعد ايضاح القوى المحركة للثورة يحدد لينين الطريقة السياسية لتنظيم السلطة وهى اعطاء كل السلطة لمجالس السوفييت ويكتب لينين « ليست جمهورية برلمانية بل جمهورية مجالس السوفيت المنتخبة من العمال والعمال الزراعيين والفلاحين فى كل انحاء البلاد من أعلاها الى أسفلها » (٢) .

ويلفت لينين نظر الشعب الى ضرورة انشاء منظمة طبقية فى الريف .. مجالس عمال الزراعة مشيرا الى أن هذه المجالس ستكون بمثابة الاساس السياسى لارساء برنامج الحزب فى أثناء الانتقال من الثورة البرجوازية الى الثورة الاشتراكية .

وعليه فان واجبات الحزب المباشرة فى الريف كانت مصادرة الاقطاعيات وتأميم الاراضى ، ويضيف لينين فيما بعد قائلا « ان تأميم الارض لم يكن فقط آخر ما يمكن للثورة البرجوازية عمله بل كان كذلك خطوة فى الطريق الى الاشتراكية .

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣١ صفحة ١١٤ .

(٢) لينين مجموعة أعمال ٣١ ، صفحة ١١٥ .

وفى أثناء التمهيد للثورة الاشتراكية كان لينين يسترشد بخبره كفاح الطبقة العامله فى العالم ويضع نصب عينيه الوضع العالمى ولكنه كان يضع فى النصاب الاول العوامل المؤثرة مباشرة على روسيا .

ولقد رأى لينين امكانيه وضع السيطرة فى أيدى القوى الثورية بطريق سلمى اذا ماتم كسب مجالس السوفييت كلهاالى جانب البروليتاريا . فاذا ما أعلنت مجالس السوفييت التى تمثل العمال والفلاحين اى اغلبية الشعب أنها تمتلك السيطرة والقوة فلن يجرؤ أحد على معارضتها وهكذا يمكن للصراع السلمى داخل مجالس السوفييت أن يأتى الى الحكم بحكومة جديدة وستتحول حكومة العمال والفلاحين الثورية الديمقراطية الى حكومة اشتراكية بروليتارية .

وقرا العمال والجنود والفلاحون رسالة ابريل التى كتبهالينين بعناية تامة فهو قد حدد فيها الطريق العلمى لتطوير الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية وأوضح الخط السياسى لحزب البلشفيك فى مسائل الحرب والسلام والثورة كما أوضح أن المطالبة بمصادرة الاقطاعيات كانت من أسس برنامج الاصلاح الزراعى الذى قدمه الحزب فى هذه الرسالة ..

وبدأ الشعب يدرك أن ما يقوله لينين هو الحقيقة بعينها كما ساعدت مقالاته العلمية السهلة التى كانت تنشر فى ذلك الحين عن طريق الصحافة البولشوفية على أن يدرك العمال والجنود والفلاحون مزايا وآفاق الثورة الاشتراكية ولقد علمت هذه المقالات الفلاحين أن يفرقوا بوضوح فى تلك الحقبة الصعبة بين أصدقائهم وبين أعدائهم . ولقد حملت مقالات لينين عن السلام وعن الارض وعن نظام الدولة وعن دور الحزب الثورى الاشتراكى فى الثورة المضادة افكاره الى الفلاحين بوضوح تام .

وكان لينين يدرك جيدا أن العمال والجنود والفلاحين يهتمون بثلاثة موضوعات وهى الحرب والسلام ونظام الدولة . ولقد أجاب على هذه الاسئلة بوضوح تام قائلا : ان الحرب يجب ان تنتهى أما السلام فسيستتب عندما يصبح الحكم تماما فى أيدى مجالس السوفييت أما الارض فيجب أن تؤول الى الشعب فأملاك الاقطاعيين يجب أن تعطى للفلاحين بدون تعويض كما يجب أن تصبح الدولة جمهورية سوفيتية .

وفى ابريل سنة ١٩١٧ انعقد المؤتمر السابع للحزب البولشوفى الروسى واتخذ عدة قرارات على أساس « رسالة ابريل »

اللينينية وتحولت تعاليم لينين الى دليل لتصرفات الحــزب كله ..

ولقد نوقشت قرارات الحزب فى كل انحاء البــلاد وكانت تعكس المطالب الحيوية للايين الفلاحين المعــدمين الذين بــدأوا يتحررون من تأثير أفكار حزبى المنشفيك والثوريين الاشتراكيين وانتقلوا الى جانب حزب البولشفيك مؤيدين لشعاراته .

وبعد انتهاء المؤتمر بدأ الحزب بقيادة لينين عملا ضخما يهدف الى تعليم وتنظيم الجماهير وفى خلال الثلاثة اشهر التى تلت ابريل كتب لينين مايربو على ١٥٠ مقالة وكتيبا فضــح فيهـــا أعداء الثورة وأشار الى عبث وخطأ سياسة حزبى البولشفيك والثوريين الاشتراكيين الهــادفة الى المهادنة بين الطبقات وكشف المضمون الامبريالى لسياسة الحــكومة المركزية وأثبت صــحة شعارات حزب البولشفيك الثورية الداعيــة الى انتصـــــار الاشتراكيــة .. وقال لينين لن تنجو البشرية من الحــروب ومن الجوع الا فى نطاق الاشتراكية وبدونها ستتحطم الملايين » . (١)

ولقد ضغط لينين بشــدة على ضرورة تقوية تحــالف العمال والفلاحين المعدمين بكل الطرق والوســائل فهذا التحالف وحده حيث تلعب الطبقة العــاملة الدور الرئيسى تحت قيــادة حــزب البولشفيك ، هو الذى سيستطيع أن يهــزم الرأسمالية وأن ينقذ الشعب العامل من فظائع الحرب .

ولقــد اثبتت الأحداث صحــة أقوال لينين . ففى ١٨ ابريل (١ مايو) أرسل وزير خارجية الحكومة المركزية ميليوكوف مذكرة الى دول تحالف « الانتانتا » مؤكدا أن الحكومة المركزية ستحترم المعاهدات المعقودة فى عهد حكومة القيصر وأن روســيا ستواصل الحرب حتى النصر وعنــدما سمع العمال والجنود أخبــار هذه المذكرة خرجوا الى الشوارع فى مظاهرات ضخمة هاتفين بالشعارات التــالية « الحكم كله لمجالس السوفييت » و « فلتنته الحرب » « فليسقط ميليوكوف » « فليسقط جوتشكوف » .

وهنــا حذر لينين العمال والجنود من عدم جدوى الشــعارات الهــاتفة بسقوط ميليوكوف وجوتشــكوف وغيــرهم حيث أن البرجوازية يمــكن أن تغير رجال الحكومة بدون تغيير المضــمون الامبريالى لسياستها .

واستجاب عمال بتروجراد لنداء حزب البولشفيك وخرجوا فى مظاهرة يوم ٢١ ابريل (٤ مايو) مطالبين بالسلام .

---

(١) لينين مجموعة اعمال ٣١ صفحة ١٣٠ .

وقد ادت مظاهرات ابريل الى اقنـاع المترددين بالانضمام الى جانب البروليتاريا ووضعت بداية النهاية للحكومة المركزية .
وكنتيجة للدعاية البولشوفية بدأت جمعيات الفلاحين تتكون فى المصانع والورش والمناجم وكانت هذه الجمعيات تضم العمال من نفس المنطقـة كما اجتذبت الـكثير من الجنود . وكانت هـذه الجمعيات تجمع الاشتراكات وتشترى بها الكتب والمجلات للفلاحين وترسل ممثليها الى القرى للعمل فى الدعاية والتوجيه .
وناضل حزب البولشفيك وحده لكى يضع السيطرة والحكم فى ايدى العمال والفلاحين الثوريين حيث انها كانت الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد من الوقوع تحت السيطرة الأجنبية .
وفى ٣ يونيو ١٩١٧ تحدث لينين فى اول مؤتمر لمجالس سوفييت العمال والجنود فى روسـيا كلها فأكد أن الطريق الوحيد للخروج من المأزق الذى وضعت فيـه البـلاد هو أن تكون السـلطة والحكم كلها فى يد مجالس السوفييت فهذه المجالس هى وحدها القادرة على اطعام الشعب واعطاء الأرض للفلاحين وارساء السلام وانقاذ البلاد من حالة الخراب السائدة .
وعندما اعلن تسيرتيلى عضو حزب المنشفيك انه لايوجد حزب فى روسـيا قادر على الحكم وحـده أجاب لينين باسـم حزب البولشفيك « نعم يوجد هـذا الحزب » وأعلن فى خطاب من على منصة المؤتمر « أن حزب البولشفيك مستعد لتولى الحكم فى أى لحظة » .

المطالب الرئيسية لبرنامج الاصلاح الزراعى

اعلن لينين أن مشكلة الاصلاح الزراعى أصبحت بعد انتصـار الثورة البرجوازية اكثر حدة وازدادت اتساعا عما كانت فى الفترة من ١٩٠٥ الى ١٩٠٧ .
وهنا يحق لنـا ان نتساءل عن ماهية مطالب برنامج الاصـلاح الزراعى الينينى فى مرحلة الثورة الاشتراكية فى روسيا ؟
والاجابة هى ..

المصادرة الفورية لكل الاقطاعيات وتاميم كل الأراضى

وكان الاتجاه يرمى الى تنفيذ هذه المطالب على أسس اجتماعية اقتصادية وسياسية جديدة اى أن يتم تنفيذ هذه المطالب فى اطار الجمهورية الاشـتراكية السوفييتية وليس فى اطـار الجمهورية الديمقراطية .
وفى مؤتمر ٧ ابريل ١٩١٧ أدلى لينين بعدة مقترحات هامة بشأن تطور الزراعة الاشتراكى . وتعلن توصيات هذا المؤتمر أن حزب

البروليتاريا يجب عليه أن ينصح البروليتاريا القروية والقريبين منها بتحويل الاقطاعيات الى مزارع جماعية ذات حجم معقول تدار على اسس شعبية بواسطة مجالس سوفييت العمال الزراعيين الفلاحين بارشاد الخبراء الزراعيين وباستخدام أحدث الوسائل التكنيكية (١) .

وردا على المنشفيك القائلين ان الفلاحين يزرعون الأراضى المأخوذة من الاقطاعيين بطريقة ضعيفة .قال لينين أنه من الضرورى مساعدة الفلاحين لكى يقوموا بزراعات تعاونية فى أرض الاقطاعيين .

وعضد الحزب لجان الفلاحين التى قامت فى بعض المناطق بالاستيلاء على مخزون البذور وعلى الأدوات الزراعية من الاقطاعيين لصالح الفلاحين ونظمت زراعات جماعية للارض كلها . أورد لينين فى تقريره لمؤتمر الحزب فى ابريل ١٩١٧ على سبيل المثال ماقام به الفلاحون فى مديرية بينزا حيث أنهم لم يوزعوا المخزون لدى الاقطاعى فيما بينهم انما استخدموه بصفة ملكية جماعية لزراعة الأرض كلها ووجد فلاديمير ايليوخ فى هذه الظاهرة صورة من صور التعاون الانتاجى بين الفلاحين .

وأكد لينين أن الزراعة التعاونية عمل صعب جدا وأضاف انه من الجنون أن يتصور أن المزارع الجماعية ستنشأ فى الأراضى لمجرد أن الاوامر ستصدر بهذا من أعلى لانه من الصعب أن تختفى فجأة التقاليد التى استمرت قرونا عديدة كان الفلاح يزرع وحده خلالها . كما أن هذه التعاونيات ستحتاج الى أموال والى اقلمة الأفراد على هذه الطريقة الجديدة فى الحياة (٢) .

وفى اثناء دراسة طرق أقلمة الفلاحين على الحياة فى المزارع الاشتراكية الجماعية الكبيرة أوضح لينين أن التحول الى الزراعة التعاونية للارض يجب أن يتم بالتدريج وبحرص شديد وأشار الى صعوبة القيام بهذه العملية التى تتطلب من الفلاحين عملا شاقا وطاقة وعزما كبيرين .

ووافق المؤتمر على توصية كان لينين قد أعدها بشأن الاصلاح الزراعى وهى تعكس خط الحزب الذى يؤكد أن تحالف العمال مع المعدمين من الفلاحين شرط اساسى للنصر فى المرحلة الجديدة من النضال .

وبذل لينين طاقة ومجهودا كبيرين فى تنظيم القوى الثورية للفلاحين وللبروليتاريا القروية لتثبيت وزرع برنامج الحزب

---

(١) قرارات المؤتمر جزء ١ صفحات ٢٤١ ــ ٢٤٢

(٢) لينين مجموعة أعمال ٣٢ صفحة ١٨٦

للاصلاح الزراعي .

ولاشك أن تاميم الاراضي والغاء حق الملكية الخاصة للارض ضربة شديدة للملكية الخاصة لكل وسائل الانتاج الموجودة في أيدي المستغلين .

وأوضح لينين أن الفلاحين لا يمكنهم أن يثقوا بالراسماليين او بالفلاحين الأغنياء اذ أنهم أيضا راسماليون بل يمكنهم أن يثقوا فقط بالطبقة العاملة في المدينة وبالتحالف معهم سينجح الفلاحون الفقراء في الاستيلاء على الارض والسكك الحديدية والبنوك والمصانع لصالح كل طبقات الشعب العاملة . واكد لينين أننا نريد جمهورية يكون الحكم فيها كله من أعلاه حتى أسفله في أيدى مجالس سوفييت العمال ونواب الفلاحين والجنود .

ولقد اشترك فلاديمير اليتش في أعمال أول مؤتمر عام لمجالس نواب الفلاحين الذى اشترك فيه ١١١٥ مندوبا ، ومن هذا العدد الكبير كان أقل من ١٠٠ مندوب فقط هم المعضدون لوجهة النظر البولشفية ، أما الاخرون فكانوا مناصرين لاحزاب المنشفيك والثوار الاشتراكيين .

وفي هذا المؤتمر قاد لينين المجموعة البولشفية ووجه الخطباء والمتحدثين منهم كما أجاب على العديد من اسئلة الاعضاء .

ولقد عضد الكثير من النواب مقترحات لينين فمثلا قام ممثل مديرية فيكيثين الجنوبية وقال ان فلاحى منطقته الذين يتكلم باسمهم لايريدون أن يسمعوا وعودا بعد اليوم ولا يودون ان ينتظروا حل مشكلة الأرض بعد انعقاد الجمعية التأسيسية واضاف أن فلاحى منطقته لا يحتاجون الى وعود بل يريدون حق استخدام اراضي المديرية كلها .

وأيد معظم الاعضاء مطلب اعطاء الارض فورا للفلاحين كما أحضروا الى المؤتمر ٢٤٢ طلبا (عرضحال) من الفلاحين طالب مرسلوها بانتخاب كل الموظفين وبالغاء الطوائف والرتب والألقاب وبتسريح الجيش النظامي بعد الحرب وبالغاء الملكية الخاصة للاراضي بما في ذلك ما يملكه الفلاحون بدون تعويض وبمصادرة كل مخزون الحبوب والأوات الزراعية وبتوزيع الأرض بالعادل على الشعب العامل .

ولقد لاحظ لينين أنه يكفي أن ينظر الانسان قليلا الى مطالب الفلاحين حتى يدرك أنه من المستحيل تحقيق هذه المطالب بالتحالف مع الراسمالية بل ان الطريق الوحيد لتحقيقها هو قطع كل الصلات معها . وأضاف لينين أن البروليتاريا الثورية وحزبها الطليعي

البولشفي الذي يقودها ، هما وحدهما وبلا بديل اللذان يستطيعان ان يحققا مطالب الفلاحين الفقراء فى القرية المذكورة .

وبعد انعقاد المؤتمر العام الروسى الاول لمندوبى الفلاحين زاد صراع الفلاحين وكفاحهم ضد ملاك الاراضى والكولاك . ولم يعد الفلاحون يصدقون بسهولة اقوال حزب الثوريين الاشتراكيين وبدأو يدركون مزايا برنامج الاصلاح الزراعى الذى قدمه حزب لينين . وكانت الحرب والضرائب المتزايدة قد خربت اقتصادياتهم فثاروا ضد ملاك الاراضي وكان الطابع الاساسى لهذا الكفاح يتلخص فى الاستيلاء على الاقطاعيات .

ورأى لينين أن واجب الحزب البولشفى لايتوقف عند حد الدعاية لبرنامج الاصلاح الزراعى المقترح بل طالب باتخاذ الاجراءات العملية التى يمكنها مباشرة مساعدة الثورة الفلاحية فى روسيا واصر على أن يساعد البولشفيك الحركات الفلاحية مساعدة محسوسة وعملية .

وكان لينين هو أول ماركسى بل واول انسان فى تاريخ الحركة الثورية الروسية يضع نصب عينيه فكرة اقامة اتحاد ثورى بين العمال والفلاحين كأساس لاسقاط القيصرية وللتخلص من سيطرة الاقطاع والبرجوازية ، وقد وصل الى هذه الفكرة فى أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر .

قبل الهجوم الفاصل

وازداد سخط العمال والفلاحين على سياسة الحكومة المركزية وأعضائها من المهادنين المنتمين للحزبين الشورى الاشتراكى والمنشفيك وكانت أحداث يوليو ١٩١٧ فى بتروجراد وفى روسيا كلها هى أوضح ظواهر عدم موافقة الطبقة العاملة على هذه السياسة ، وبدأت هذه الاحداث فى ٣ يوليو (١٦) بحركة تلقائية اشترك فيها عمال وجنود ناحية فيبورج (الحى العمالى من بيتربورج) لابداء معارضتهم لسياسة الحكومة المركزية وتطورت هذه الحركة الى مظاهرة شعبية ضخمة سارت فى شوارع بتروجراد واشترك فيها العمال والجنود . وهنا امرت الحكومة المركزية المشكلة من تحالف المنشفيك والثوار الاشتراكيين قواتها النظامية باطلاق النار على المتظاهرين المسالمين مما أدى الى اراقة الدماء فى شوارع بتروجراد .

وقد أنهت هذه الحوادث فترة ازدواج السلطة فلقد اغتصبت الثورة المضادة السيادة فى البلاد وبدأت موجة فى الاضطهاد

والضغط واضطر حزب البولشفيك الى الالتجاء للعمل السرى واختبأ قائده لينين .

وهكذا اصبح على الطبقة العاملة أن تستولى على السلطة عن طريق الثورة المسلحة . واقترح لينين أن يسحب مؤقتا شعار « كل السلطة للسوفييت » ولم يكن هذا يعنى رفض مجالس السوفييت كأساس جديد للدولة بل كان السبب أن مجالس السوفييت فى ذلك الوقت كانت قد وقعت تماما تحت سيطرة الثوار الاشتراكيين والمنشفيك الواقفين على طول الخط الى جانب البرجوازية .

وفى اغسطس ١٩١٧ انعقد فى بتروجراد مؤتمر حزب البولشوفيك السادس لكى يضع تكتيكا جديدا لمواجهة الظروف السياسية المتغيرة وقدمت اللجنة المركزية تقريرها الذى نوقش على ضوء الموقف السياسى .

وفى توصية للمؤتمر بشأن الموقف السياسى أعلن الحزب « لقد استحال الآن وصول مجالس السوفييت الى السلطة بطريقة سلمية حيث ان الحكم قد انتقل كلية الى أيدى قوى الثورة المضادة البرجوازية . والشعار السليم الوحيد الآن هو الدعوة الى انهاء ديكتاتورية الثورة المضادة البرجوازية . والطبقة العمالية بتعضيد من الفلاحين المعدمين هى القوة الوحيدة القادرة على القيام بهذه المهمة ويعنى هذا فى الواقع القيام بثورة جديدة (١)

وكانت كل قرارات الحزب معتمدة على فكرة لينين القائلة بأن الشرط الاساسى لانتصار الثورة الاشتراكية هو التحالف بين الطبقة العاملة وبين الفلاحين المعدمين .

ولقد قاد لينين من مخبئه الحزب والحركة الثورية وكان معتقدا تماما فى نجاح الثورة الاشتراكية وفى أن السلطة ستصبح فى القريب العاجل فى أيدى البروليتاريا . ولاعداد الطبقة العاملة لتولى الحكم . قام فلاديمير اليتش فى أعماله « الدولة والثورة » و «هل يستطيع البولشفيك الحصول على الحكم » وغيرها بتطوير نظرية الدولة الماركسية واوضح السياسة والخطوات العملية الأولى التى يجب على ديكتاتورية البروليتاريا ان تقوم بها .

ولقد شجعت احداث يوليو ملاك الاراضى على التحرك بقوة أكبر فكونوا اتحادات الملاك واتفقوا مع الكولاك « طائفة متوسطى ملاك الاراضى » ومع البرجوازية التجارية والصناعية وقاموا بكل عمل

---

(١) مؤتمرات الحزب جزء ١ – صفحة ٣٧٦

ممكن لمحاربة واخضاع الفلاحين . والقى القبض على أعضاء لجان الفلاحين وعلى غيرهم من الفلاحين الثوريين وأرسلت وحدات عسكرية لقمع الحركات الثورية فى القرى فبينما كان عدد حملات القمع بالقوة العسكرية ١٧ فى الفترة ما بين مارس ويوليو اصبح ٣٩ فى يوليو واغسطس ثم زاد الى ١٩٠٥ فى سبتمبر واكتوبر .

اما الفلاحون متوسطو الحال الذين كانوا مترددين فى الفترة ما بين ابريل واغسطس فقد بداوا بدورهم فى الانضمام الى المعدمين وزاد عدد النواب البولشفيك فى المجالس كما أيدهم النواب اللاحزبيون .

وتبعا للمعلومات غير الكاملة التى جمعتها الحكومة المركزية فان الحركة الثورية بين الفلاحين وصلت الى حد خطير فى عام ١٩١٧ ففى شهر مايو سجلت الحكومة المركزية ١٥٢ عصيانا وفى يونيو ١١٢ وفى يوليو ٣٨٧ وفى اغسطس ٤٤٠ وفى سبتمبر ٩٥٨ ووصلت الى قمتها فى الفترة ما بين سبتمبر واكتوبر بل أصبحت فى تلك الفترة ثورة شاملة .

وفى توصيات مؤتمر الفلاحين المجندين فى الجبهة الغربية الاول المنعقد فى ٢٢ أكتوبر (٤ نوفمبر) ١٩١٧ طالب النواب بالاستيلاء على الاراضى كها ووضعها تحت تصرف لجان الاراضى كما طالبوا كذلك بمصادرة مخزون الحبوب والأدوات الزراعية والاقطاعيات الحكومية والخاصة وغيرها من المنشآت ووضعها تحت تصرف لجان الاراضى كذلك .

وفى سبتمبر ١٩١٧ وكنتيجة لزيادة نفوذ البولشفيك فى مجالس السوفييت يرفع لينين مرة أخرى شعار « كل الحكم والسلطة للسوفييت » وكان رفع هذا الشعار فى تلك الآونة يعنى الثورة المسلحة ضد الحكومة المركزية البرجوازية يهدف اقامة حكم البروليتاريا . وكانت البلاد تمر بوضع خطير واصبح الموقف ملائما تماما لنشوب الثورة . وكتب لينين فى ذلك الحين « ان وراءنا غالبية الطبقة اى الصف الأول من الثوار القادرين على قيادة الجماهير » .

وتغير كذلك شكل حركة الفلاحين الثورية وبدأ الفلاحون الاستيلاء على الأراضى والمعدات الزراعية بالقوة من الملاك وتحولت حركة عصيان الفلاحين الى ثورة شاملة فى كل أنحاء البلاد .

وفى احد اجتماعات الفلاحين فى واحدة من مناطق مديرية أريول أعلن الفلاحون « اننا نعرف الآن لماذا اضطهد الحكام البولشفيك فنحن نعرف الآن من هو لينين ونعرف انه وكل اعضاء حزب البولشفيك يريدون الخير لنا » .

وأصبحت غالبية الشعب تؤيد وتتبع لينين وحزب البولشفيك ففى انتخابات المجالس المحلية التى جرت فى سبتمبر أكتوبر ١٩١٧ فى نفس الوقت الذى جرت فيه انتخابات مجالس سوفييت العمال والجنود والفلاحين ، أعطى الفلاحون فى شتى أنحاء البلاد أصواتهم لمرشحى البولشفيك . ورفضت القوات مواصلة القتال وعزلوا القواد الرجعيين وانتخبوا آخرين بدلا منهم وكان تذمرهم يهدد بالتحول الى ثورة شاملة . وكانت غالبية جنود قوات الجبهتين الشمالية والغربية القريبتين من بتروجراد وموسكو تؤيد وتتبع الحزب البولشفى . كما كان كل بحارة أسطول البلطيق يؤيدون نفس الحزب .

وزاد التذمر كذلك بين القوميات المضطهدة التى أصبحت أكثر اقترابا ووحدة مع الطبقة العاملة ومع حركة الفلاحين . ولقد أثر الوضع القومى السىء العام على حزبى المنشفيك والثوار الاشتراكيين فانقسم حزب المنشفيك الى عدة أحزاب كما تكون جناح يسارى بين الثوار الاشتراكيين وأعلن هذا الجناح عن تكوين حزب مستقل وحاول هذا الجناح أن يقود الفلاحين الذين فقدوا ثقتهم بالثوار الاشتراكيين وتحولوا الى الحزب البلشفى .

وكان لينين مازال مضطرا للاختفاء الا أنه كان يراقب الموقف بدقة ويقود رد الفعل المناسب لابسط تغيير فى حالة الشعب أو فى علاقات القوى بين الطبقات المتصارعة .

وكانت الطبقات الافقر من الفلاحين قد فقدت ثقتها تماما بالثوريين الاشتراكيين وطردتهم من لجانهم وأشارت التقارير القادمة من المديريات الى أن الوضع قد نضج لقيام ثورة فلاحية شاملة . ففى اجتماع لفلاحى منطقة فريميفسك من أعمال مديرية بكاترينا سلاف صدرت التوصية التالية « .. من أجل انقاذ روسيا والثورة قررنا نحن فلاحى منطقة فريميفسك أن نصادر اراضى كبار الملاك الموجودة فى منطقتنا بدون تعويض ونحن ندعو فلاحى المناطق الأخرى فى مديريتنا ان يتبعوا مثالنا حيث أن السبيل الوحيد لانقاذ روسيا والثورة هو أن يأخذ الشعب السلطة فى يديه ففى تلك الحالة وعندما تصبح السلطة كاملة فى أيدى الشعب سيمكنها أن تعطى الارض للفلاحين والخبز للعمال » .

وقد وجد لينين أن هبة الفلاحين تخلق وضعا ثوريا . وتؤذن بفجر الثورة الاشتراكية فقال « ان كل الظواهر السياسية الاخرى

حتى اذا دلت على عدم وجود وضع ثورى فى البلاد كلها لايمكنها أن تفعل اى شيء فى مواجهة هبة الفلاحين » (١) .

وفى خريف ١٩١٧ أصبحت حركات الفلاحين الثورية هي العامل الرئيسى فى الوضع الشائك السائد فى البلاد كما ودلت هذه الحركات على أن الفلاحين الفقراء قد هبوا للنضال وكانت أغلبية الفلاحين تشعر بالمرارة والضيق من سياسة الحكومة الائتلافية برياسة كيرنيسكى التىتقوم على التسويف والمماطلةوعليه انضموا كلية الى جانب البروليتاريا .

وكان العمال المسلحون والفلاحون المجندون فى الجيش والمؤيدون للحزب البلشيفى يشكلون قوة حقيقية معضدة للحزب وكانوا يمثلون القوة المسلحة للثورة المستعدة لهزيمة البرجوازية .

وبناء على اقتراح لينين نشبت الثورة فى ٢٤ أكتوبر أى قبل بدء المؤتمر الثانى الروسى لمجالس السوفييت مباشرة وفى صباح يوم ٢٥ أكتوبر كان قد تم عزل الحكومة المركزية وأعلن النداء الذى كتبه لينين للمواطنين الروس ما يلى :

« لقد تم ضمان المطالب الرئيسية التى كافح من أجلها الشعب الا وهى السلام والديمقراطية والغاء الملكية الخاصة للاراضى ووضع الانتاج تحت سيطرة العمال وتأمين السلطة لمجالس السوفييت .

فلتحيا ثورة العمال والفلاحين والجنود » (٢) .

الحرية الحقيقية

وفى مساء الخامس والعشرين من أكتوبر (٧ نوفمبر) ١٩١٧ انعقد المؤتمر الثانى لكل مجالس سوفييتيات روسيا فى صالة اجتماعات سمولنى الضخمة المضيئة ووافق المجلس على توجيه نداء كتبه لينين لكل العمال والجنود والفلاحين يقول النداء :

« بناء على رغبة الاغلبية العظمى من العمال والجنود والفلاحين وعلى أساس الهبة الناجحة التى قام بها الجنود والعمال فى بتروجراد يأخذ المؤتمر كل السلطات فى يديه » ثم يضيف المؤتمر « ان كل السلطات المحلية ستوضع فى أيدى مجالس سوفييت العمال ومندوبى الجنود والفلاحين وسيكون عليهم أن يقوموا بضمان نظام ثورى حقيقى » (٣) .

وهكذا استطاع تحالف العمال والفلاحين المعدمين بقيادة العمال

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣٤ – صفحة ٢٧٧

Ibid : Vol. 35 p. 1.

(٢) لينين مجموعة أعمال ٣٥ صفحة ١١ .

ان يهزم ديكتاتورية البرجوازية وأن يثبت أركان حكم البروليتاريا.
وفى مســاء ٢٤ أكتوبر (٦ نوفمبر) وصل لينين الى سمولنى وقاد الثورة من هناك وبعد الاستيلاء على القصر الشتوى والقبض على اعضــاء الحكومة المركزية توجه فلاديمير اليتش فى ليلة ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر) الى شقة برنش بروبفتش للراحة أثناء ساعات الليل القليلة الباقية .
وفى مذكرات برنش بروبفتش يمكننا أن نقرأ عن تلك الليــلة ما يلى :
« تناولنا عشاء خفيفا وبعده قمت بكل ما فى وسعى لكى أقنع لينين بالاستراحة قليلا ولاقنــاعه بأن يشغل فراشى الموضوع فى غرفة صغيرة مستقلة بها نضد وورق وحبر ومكتبة . ورقدت انا على اريكة واسعة فى الغرفة المجاورة وعزمت على الا أنام قبل أن أتأكد من أن فلاديمير اليتش قد استغرق فى السبات .
وعندما كدت أن أنام شعرت بالضوء فى غرفة فلاديمير اليتش ثم سمعته وهو يحــاول بحرص شديد أن يفتح البــاب فى غرفتى وعندما تأكد أننى مستغرق فى النوم (رغم أننى لم أكن نائما) عاد بهدوء الى غرفته لكى لايزعج احدا وفرد عدة أوراق أمامه وفتح دوايه الحبر واستغرق فى العمل .
وكان لينين يكتب ثم يشطب البعض ويقرأ ويؤيد بعض الملاحظات وأخيرا بدا كما لو كان يكتب نسخة نهائية مما قام بعمله . ولاح فجر خريف بتروجراد الرمادى قبل انيطفىء لينين المصباح لينام.

وفى الصباح عندما حان وقت الاستيقاظ حذرت عائلتى الا تثير اية ضجة حيث أن فلاديمير اليتش قد عمل طيلة الليل وعليه فهو متعب جدا وفجأة خرج لينين مرتديا ملابســه كاملة وبدا سعيدا وفرحا نشيطا وبكامل طاقته وقال لنا تهانئى لــكم بأول يوم من أيام الثورة الاشتراكية ورغم أنه لم ينم اكثر من ساعتين أو ثلاث بعــد هذا اليوم الرهيب الذى عمل فيه ٢٠ ســاعة على الاقل فلم تكن تبدو عليه آثار الارهاق أو التعب وعندما جلس ليشرب الشــاى معنا جاءت ناديجدا كونستانتينوفنا التى كانت هي الأخرى قــد قضت الليلة معنا وأخرج لينين من جيبه عدة أوراق مكتوبة بعناية وبدأ يقرأ لنا « قرار الارض » الشهير .

ثم أضاف « الآن علينا أن نعلن هــذا القرار وأن ننشره فى كل مكان ولن تستطيع اية قوة أن ترغم الفلاحين على التخلى عن اى جزء منه أو أن تعيد الارض الى الاقطاعيين وسيكون هذا من أهم منجزات ثورة أكتوبر وسيتم الاصلاح الزراعى فى يومنا هذا » .

ثم بدأ يشرح لنا تفاصيل هذا القرار والأسباب التى ستحدو بالفلاحين لكى يرحبوا به فقال انه موضوع على اساس مطالب الفلاحين المرسلة الى مندوبيهم وهى تعكس عموما المطالب الموجهة الى مؤتمر مجالس السوفييت .

وعلق أحدهم قائلا « لقد كان معظمهم من الاشتراكيين الثوريين وسيقال اننا أخذنا منهم هذه الآراء » .

وأجاب فلاديمير اليتش مبتسما « فليتكلم من يريد الان ان الفلاحين سيدركون أننا سنعضد دائما مطالبهم العادلة وعلينا أن نقترب أكثر من الفلاحين ومن حياتهم ومن رغباتهم واذا ما ضحك بعض الحمقى فلندعهم يضحكون فنحن لاننوى ان نترك الثوار الاشتراكيين احتكار قيادة الفلاحين فنحن الآن الحزب الرئيسى الحاكم ومشكلة الفلاحين هى اهم المشاكل بعد ارساء أركان حكم البروليتاريا (١) .

وافتتحت الدورة الثانية لمؤتمر مجالس السوفييت فى التاسعة من مساء ٢٦ اكتوبر (٨ نوفمبر) وعند ظهور لينين حيى بتصفيق حار متواصل وتكلم اولا عن مشكلة السلام وكانت مشكلة الساعة الملحة التى تشغل الاهتمام ووافق النواب بالاجماع على قرار لينين بشأن السلام الذى اعلن أن حكومة العمال والفلاحين التى استولت على السلطة كنتيجة للثوره والحائزة على ثقة وتعضيد مجالس سوفييت العمال ونواب الفلاحين والجنود ، تدعو الأمم المتحاربة وحكوماتها لبدء المحادثات فورا للوصول الى سلام عادل وديمقراطى .

ودعا مؤتمر مجالس السوفييت العمال فى كل مكان وخاصة هؤلاء ذوى الوعى الطبقى فى الدول الراسمالية الغربية أن ينقذوا البشرية من فظائع الحرب ونتائجها المروعة بصرف النظر عن رغبات الحكومات الامبريالية . وأكد المؤتمر ثقته بأن العمال سيدركون أن تبعة انقاذ البشرية من الحرب تقع على عاتقهم وانهم سيعملون على استتباب السلام فى العالم .

ولقد قابل العمال الزراعيون هذا القرار بحماسة منقطعة النظير فلا شك أن الحرب الامبريالية كانت عبئا ثقيلا على الفلاحين الذين تحملوا تبعاتها حيث أنهم كانوا اغلبية الشعب الروسى .

وهكذا تحول الفلاحون والجنود الذين كانوا مازالوا مؤيدين للاشتراكيين الثوار أو مترددين قبل الثورة الاشتراكية الى جانب

---

(١) ذكريات عن لينين اصدار دار النشر والسياسة الحكومية ١٩٥٦ صفحات ٦٢٤ - ٦٢٦ .

الطبقة العاملة والحزب البلشفي بعد اعلان قرار السلام هذا .
وبعد ان وافق المؤتمر على قرار السلام القى لينين خطبة في اجتماع ضخم تكلم فيها عن مشاكل الارض وقرأ لينين بنود «قرار الأرض» بين هتافات الجماهير المؤيدة وهي :ـ
١) تلغى الملكية الخاصة للارض بدون أى تعويض .
٢) توضع كل الاقطاعيات واراضى القيصر والأديرة والكنيسة بكل مخزوناتها ومواشيها وادواتها الزراعية ومبانيها وكل ما ينتمي اليها تحت سيطرة لجان الاراضي ومجالس السوفييت ونواب الفلاحين لحين انعقاد الجمعية التأسيسية .
٣) كل تخريب في الممتلكات المصادرة التى تعتبر الآن ملكا للشعب كله سينظر اليه كجريمة خطيرة تعاقب عليها محاكم الثورة . وتقوم مجالس السوفيت القروية المكونة من مندوبي الفلاحين باتخاذ اللازم نحو مراعاة النظام التام في أثناء مصادرة الاقطاعيات وتحديد أصحابها وما يجب مصادرته وأن تقوم بجرد كل الممتلكات المصادرة وأن تحمى بكل الوسائل الثورية الزراعات والادوات المصادرة بما في ذلك كل المبانى والادوات والمواشي والمخازن وغيرها (١) .
ولقد شمل قرار لينين عن الأرض برنامج الحزب البولشيفي للاصلاح الزراعي وعكس أحلام الفلاحين في خلال القرون الماضية وحققها ، فلقد أصبحت الأرض ملكية عامة للشعب وأثبت للفلاحين ولعمال الزراعة أن مجالس السوفييت وضعت حدا نهائيا لسيطرة ملاك الأراضي وان الأرض في الواقع أعطيت لهؤلاء الذين يفلحونها وهكذا نفذ قرار تأميم الارض .
وباسم ناخبيهم عبر أعضاء المؤتمر للسلطة السوفيتية العليا عن وحل مشكلة الاصلاح الزراعي يقدم دليلا ساطعا على حكم لينين ووضوح رؤيته للموقف السياسي والاجتماعي . فبالرغم من انه لم ينكر عدم موافقته على بعض النقاط التى تضمنتها مطالب الفلاحين الا أنه اقترح على المؤتمر أن تكون هذه المطالب هي أساس الاصلاح الزراعي الذى تقوم به ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ولقد قدم هذا الاقتراح حيث أن مطالب الفلاحين عموما كانت تتفق مع برنامج الحزب البلشفي في المطالبة بتأميم كل الاراضي التابعة للاقطاعيين والتاج والكنيسة والاديرة ووضعها تحت تصرف مجالس السوفييت المحلية وكذلك لأن هذه المطالب كانت تحظى بتأييد غالبية الفلاحين .

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٥٣ صفحة ٢٤

وباسم ناخبيهم عبر اعضاء المؤتمر للسلطة السوفيتية العليا من شكرهم وللينين كأصلب المدافعين عن فقراء القرية .

ولقد كان الغاء الملكية الخاصة للاراضي واحدا من اعظم منجزات الدولة السوفيتية كما أنه خلص الفلاحين تماما من العبودية للاقطاعيين ولم تعد الارض وسيلة للاستغلال كما كانت من قبل وهكذا حصل الفلاحون بدون مقابل من الدولة السوفيتية على ١٥٠ مليون هكتار بالاضافة الى ما كان لديهم وتخلصوا من دفع ما يوازى ٧٠٠ مليون روبل ذهبى سنويا كايجار لأراضي الاقطاع وبالاضافة الى هذا الغيت ديون الفلاحين لبنك الاراضى الاقطاعى والتى كانت تساوى ١٫٥٠٠ مليون روبل .

ولقد أدى تأميم الأراضى الى تحقيق ثلاثة مطالب ثورية رئيسية فانتهت تماما آثار عبودية الارض فىمحيط الزراعة مكملا بهذا عمل الثورة البرجوازية الديمقراطية وزادت قوة تحالف العمال مع الفلاحين وبدأ التحول فى مجال الزراعة الى الوسائل الاشتراكية.

وكتب لينين قائلا : « فى دولة الفلاحين كان الفلاحون هم اول من حصل على المكاسب بل انهم حصلوا على معظم المكاسب مباشرة بعد وصول البروليتاريا الى الحكم ولاول مرة شعر الفلاحون بالحرية الحقيقية ــ حرية أن يأكلوا خبزهم ــ الحرية من الجوع»

وقد جاء انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى دليلا علىصحة سياسة لينين المنادية بالتحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين .

وبدأ بناء الحياة الجديدة فى الريف وفى المدينة على حد سواء وتوالت وفود فلاحى كل قرى البلاد طالبة مقابلة لينين . وكانت اللجان القروية تجمع النقود خصيصا لارسال الوفود لمقابلة زعيم البولشفيين كما كانوا يسمون لينين ولكى يتحدثوا معه فى امورهم وأحوالهم .

وكان لينين يعتبر الحياة والخبرة الجماعية أحسن معلم ولقد قال بهذا الصدد أن فكر عشرات الملايين ولا شك اقام صرحا أكبر بكثير مما يقدر عليه أعظم وأحسن مفكر وكان لينين متلاحما تماما مع الجموع وكان يحاول أن لا يبدى كلمة او اشارة واحدة يمكنها أن تضغط على الجماهير بصفته شخصية قائدة .

ولقد آمن الفلاحون الذين زاروا لينين ايمانا عميقا بالحزب الشيوعى وبالسلطة السوفيتية .

وكان القول السائد لديهم بعد مقابلة لينين هو « ان لدينا الآن قائد ممتازوهوكذلك خبيرفى أمور الفلاحين انها السلطة الحقيقية بل انها سلطة الفلاحين حقا » .

بل أن بعضهم كان يطلب ورقة تدل على أنهم قد قابلوا فعلا لينين .
ولقد تلقى لينين الالاف من الخطابات طلب فيها الفلاحون منه أن يشرح لهم مضمون القرار الخاص بالسلطة السوفيتية . ولقد أجابهم في مقالة « اجابة على أسئلة الفلاحين » وكتب فيها ان الثورة قد انتصرت في بتروجراد وفي موسكو وفي كل انحاء روسيا والغيت الملكية الفردية للأرض وعلى اللجان المحلية في القرى أن تستولي مباشرة على الاقطاعيات وان تحافظ عليها بحرص وأن تحمي ممتلكات الاقطاعيين التي أصبحت الآن ملكا للشعب كله .
وأضاف لينين قائلا : « ان مجلس وزراء (قوميسيرى) الشعب ينادي الفلاحين لكي يمسكوا بالسلطة في مناطقهم في أيديهم وان العمال يؤيدون بكل طاقاتهم الفلاحين ولقد بداوا في انتاج الآلات والمعدات وهم يطلبون من الفلاحين ان يساعدوهم بدورهم بتنمية محاصيل القمح » .
وكان الآن على الحزب البولشفي أن يساعد الفلاحين على تنفيذ القرارات التى اتخذها مؤتمر مجالس السوفييت الثاني فعلى هذا سيعتمد تقديرهم للحزب وللسلطة السوفيتية وبطلب لينين قررت اللجنة المركزية أن ترسل الدعاة الى مختلف المناطق .
وبدا رجال الدعاية المرسلون من قبل الحزب الشيوعي في شرح قرار الأرض ومشكلة الاصلاح الزراعي في اجتماعات الفلاحين والجنود وفي مؤتمرات مجالس السوفييت على مستويات الأقسام والمديريات وكانوا يطلبون من الفلاحين الذين حصلوا على الأراضي أن يسرعوا بارسال القمح الى المدن للحد من خطر المجاعة .
وكان هؤلاء الموجهون السياسيون قد اختيروا من بين العمال التقدميين والجنود الثوريين العائدين من الجبهة وقد تمكنوا من استمالة الفلاحين الى جانب السلطة السوفيتية .
وبعد أن استمع فلاحو قرية بروكي في منطقة سردوفسكى من أعمال مديرية ساراتوف الى خطاب ممثل مجلس السوفييت الذي شرح فيه الموقف الحالي وتحدث عن القرارات التى اتخذها مؤتمر مجالس سوفييت روسيا الثاني قام الفلاحون بالتعبير عن شكرهم لواضع قرار الأرض وقالوا « اننا نعتبر هذا القرار مقدسا فلقد خلص الشعب العامل من اضطهاد استمر اجيالا عديدة . ونحن نحيي ونرفع واضع القرار الى أسمى المراتب ونشكرهم شكرا عميقا على اتخاذهم له » .
وعندما استقبل فلاديمير اليتش وفدا من فلاحي ساراتوف

سألهم « كيف أحوالهم وكيف أحوال رجال ساراتوف انهم قوم ممتازون » .

وقد كان يسأل الوفود والمبعوثين عن احوال حركة الفلاحين المحلية وعما اذا كان يمكن الاعتماد على مساعدتهم واذا ما كانوا سيستطيعون تقديم القمح واخيرا عن الاجراءات اللازمة لضمهم الى صفوف المؤيدين للسلطة السوفيتية .

وكثيرا ما كان لينين يزور المصانع ووحدات الجيش وكان ينفق الساعات الطوال فى دراسة تقارير العمال القياديين فى المدن وفى القرى كما كان يتتبع باهتمام كل الصحف والمجلات لم تفته اية مقالة أو رسالة هامة عن الخطوات الأولى لبناء الاشتراكية وكانت كل رسائل الشعب العامل الموجهة اليه تلقى عناية تامة منه وكان يعلم رجال مجالس السوفييت والعمال القياديين كيف يكتسبون ثقة الجموع عن طريق معاملتهم كرفاق والاهتمام بحاجاتهم ومطالبهم . وكان فلاديمير اليتش يتحقق بنفسه من الشكاوى المرسلة اليه من افراد الشعب العامل ويبدى رد فعل سريعا وحاسما ضد كل حالات التعامل البيروقراطى والرسمى وغير العادل مع الأفراد .

ويشهد العديد من التلغرافات والملاحظات والتوصيات والرسائل على احترام لينين العميق واخلاصه لكل عامل .

النضال ضد الثورة المضادة

ولقد تحمس الفلاحون ورحبوا بقرارات السلطة السوفيتية وبالاصلاحات الزراعية الأولى للحكومة الجديدة .

وكنتيجة لتأميم الاراضي انتهى وجود طبقة الاقطاعيين وملاك الأراضي وأصبحت الأخيرة ملكا للشعب كله .

ولكن تثبيت دعائم السلطة السوفيتية كان يتم فى ظروف النضال القاسى مع أعداء الطبقة العاملة والعمال الزراعيين . ففى بعض المناطق مثلا استطاعت قوى الثورة المضادة ان تخدع المواطنين وان تستولى على السلطة ولكى تضرب السلطة السوفيتية قامت هذه القوى ببث الفرقة والخلاف بين فلاحى القرى والمناطق المختلفة فأثاروا فلاحى القرى ضد بعضهم ونظموا جماعات حاولت الاستيلاء على القمح من قرى كانت هى نفسها تعانى من المجاعة . ولقد تلقت اللجنة المركزية عديدا من التساؤلات عن كيفية تنفيذ قرار الارض وقام لينين واعضاء اللجنة المركزية بمجهود كبير لنشر التجارب المحلية لتطبيق قرار الأرض وعلى سبيل المثال ارسلت سكرتيرة اللجنة المركزية للحزب ستاسوفا خطابا الى سيزران

شرحت فيه تجربة شيوعيي منطقة رجوف من أعمال مديرية تفير حيث وضعت كل أراضي الاقطاعيين تحت تصرف لجنـــة أراضي المنطقة . وافتتحت مدارس زراعية في عدد من الاقطاعيات .

ورأى لينين ضرورة تكوين مجالس سوفيتية من مندوبي الفلاحين في كل القرى لكي تساعدهم على النضال ضد قوى الثورة المضادة ولكي تنفذ قرارات السلطة السوفيتية . ولتأكيد قيادة البروليتاريا الكاملة ومساعدتها التامة للفلاحين تقرر توحيد مجالس سوفييت العمال ونواب الجنود والفلاحين في تنظيم واحد تركزت في يديه السلطة .

وفي نوفمبر ١٩١٧ انعقدت دورة استثنائية لمجالس سوفييت نواب فلاحي روسيا كلها وتعرف على انجازات ثورة اكتـــوبر الاشتراكية ووافق على كل قرارات السلطة السوفيتية . وبناءعلى اصرار مندوبي الفلاحين الممثلين للأغلبيـــة العظمى اتفق الجناح اليساري من حزب الثوار الاشتراكيين مع الحزب البولشفي ووافق على قرارات المؤتمر الثاني لمجالس سوفييت روسيا كلها .

ولكن الجناح اليميني لحزب الثوار الاشتراكيين كان مسيطرا على اللجنة التنفيذية فدعا لمؤتمر ثان لمجـالس ســوفييت نواب الفلاحين على أمل الانتقام من هزيمتهم . وأوقف حق ارســـال مندوبين للمؤتمر على مجالس سوفييت الفلاحين على مســتوى المديريات فقط وعلى هذا الأساس اعتقد يمينيو حـزب الثـوار الاشتراكيين انهم سيحوزون الأغلبية في المؤتمر .

ولاحظ لينين محاولات الجناح اليميني لهذا الحزب وفي ٢٣ نوفمبر (٦ ديسمبر) ١٩١٧ أصدر قوميسيري الشعب وباقتراح من لينين قرارا عن حق اسقاط النيابة واعطى هذا القرار الحق للشعب العامل بأن يسحب الثقة من النواب غير المدافعين عــن مطالبهم وحقوقهم وأن ينتخبوا مكانهم ممثلين أجدر بالثقـــة ، وساعد هذا القرار الشعب على تنظيف مجالس الســوفييت من الأفراد غير المرغوب فيهم بما في ذلك أعضاء الحزب الاشتراكي الثوري اليميني .

وفي ٢٦ نوفمبر (٩ ديسمبر) انعقد المؤتمـر الثـاني لمجالس مندوبي الفلاحين في روسيا كلها بناء على دعوة من اللجنة التنفيذية التي كانت تحت سيطرة جناح الحزب الاشتراكي الثوري اليميني. وفشلت محاولة الاشتراكيين الثوريين اليمينيين للاعتراض على السلطة السوفيتية .اثبت لينين في تقريره أن مجالس السوفييت تعبر عن ارادة الجماهير ، وانسحب أعضاء الجنـــاح اليميني

للحزب الاشتراكي الثوري من المؤتمر الا ان المؤتمر واصل اعماله بدونهم ووافق المؤتمر على قرارات الحكومة السوفيتية بشأن السلام والأرض ووجه نداء للفلاحين على اساس مسودة توصية مقدمة من لينين . ودعا هذا النداء الفلاحين لكى يوحدوا بين مجالس سوفييت نواب الفلاحين ومجالس سوفييت العمال ونواب الجنود .

وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية جديدة مكونة من ١٠٨ أعضاء واتحدت هذه اللجنة مع لجنة روسيا المركزية التنفيذية وهكذا تم تكوين أعلى سلطة سوفيتية وهى اللجنة التنفيذية المركزية لكل مجالس سوفيتات العمال ولمندوبى الفلاحين والجنود فى روسيا وقررت هذه اللجنة تعيين عدد من أعضاء الجناح اليسارى المنفصل عن الحزب الثورى الاشتراكى أعضاء فى مجلس قوميسارى الشعب وتعيين ممثلين لهذا الجناح فى كل هيئات مستشارى وزارات الشعب .

وتكونت ظروف ملائمة لتنظيم مجالس السوفييت المحلية وللحد من آثار الجهاز البرجوازى القديم سواء فى القرية أو فى المدينة .

وفى ديسمبر ١٩١٧ ويناير ١٩١٨ عقدت مؤتمرات الفلاحين على مستوى المديرية فى كل أنحاء البلاد وتمت انتخابات لجان فلاحين تنفيذية جديدة مكان اللجان القديمة التى كانت تحت سيطرة يمينيى حزب الاشتراكيين الثوار واتحدت اللجان الجديدة مع اللجان التنفيذية لمجالس سوفييت العمال ومع نواب الجنود على مستوى المديريات .

وحتى بعد انتصار ثورة أكتوبر استمر جزء من العمال والفلاحين على اعتقاده بأن الجمعية التأسيسية ستسير على سياسة تعبر عن مطالبهم . وكانت علاقة الطبقة العاملة بالفلاحين تعتمد الى حد كبير على اتخاذ الحزب البولشفى لموقف سليم فى موضوع الجمعية التأسيسية . وكانت الحملة الانتخابية قد جرت قبل انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ولكن الانتخابات نفسها عقدت فى نوفمبر بعد أن أوضح أن علاقات قوى الطبقات قد أصبحت فى صالح الحزب البولشفى . ولكن حزب الاشتراكيين الثوار اليمينيين كان مازال محتفظا بتأثيره على بعض الفلاحين وخاصة على فلاحى المناطق البعيدة وهكذا تمكنوا من الحصول على أغلبية على أكتاف الفلاحين ومن أسباب حصولهم على اغلبية فى الجمعية التأسيسية عدم وجود مرشحين عن الحزب البلشفى فى عدد من المديريات وفى الواقع ففى اثناء فترة الانتخابات كان معظم الفلاحين قد انحازوا الى

صفوف الحزب البولشفي . وفى شهر ديسمبر كان الاشتراكيون الثوريون اليمينيون قد فقدوا كل تأثير لهم بين أفرادالشعبوعليه فان التكوين الحزبى للجمعية التأسيسية لم يكن يعبر عن حقيقة علاقات القوى بين الطبقات . وهنا يقوم سؤال وهو لم وافقت الحكومة السوفيتية على دعوة الجمعية للانعقاد ؟. وفى الواقع كانت هذه الموافقة تقوم على أساس أن العمال والمزارعين عندما أرسلوا نوابهم الى الجمعية التأسيسية كانوا يعتقدون أنها ستكون سلاحا جديدا لتحطيم بقايا البرجوازية .

وكان الفلاحون يرغبون فى انعقاد الجمعية التأسيسية اعتقادا منهم بأنها ستساعد فى تثبيت مكاسبهم الناتجة عن الاصلاح الزراعى .

وقررت الحكومة السوفيتية دعوة الجمعية التأسيسية للانعقاد لكى تثبت لجموع الشعب عن طريق الممارسة العملية أن الآمال المعلقة عليها لا تقوم على أى أساس .

وفى ٥ يناير (١٨) عام ١٩١٨ افتتح رئيس اللجنة التنفيذية المركزية الروسية سفردلوف اجتماعات الجمعية التأسيسية وقام باعلان « حقوق العمال والمستغلين » الذى وضعه لينين ووافقت عليه اللجنة التنفيذية المركزية الروسية . ويقرر أول بنود هذا الاعلان « أن روسيا جمهورية مجالس سوفييت العمال ومندوبى الجنود والفلاحين وان كل السلطة المركزية والمحلية مركزة فى أيدى هذه المجالس » (١) ويستمر الاعلان قائلا أنه من أجل تنمية الاشتراكية ألغيت الملكية الخاصة للاراضى التى أصبحت ملكية عامة للشعب بدون أى تعويض واتخذ هذا القرار على أساس حق الملكية الطبيعى .

وأكد الاعلان حق اشراف العمال على كل البنوك ووضعها تحت الحكومة السوفيتية . واستمر الاعلان مشيراً الى أن الجمعية التاسيسية تبارك الحكومة السوفيتية فى سياستها الرافضة للاحلاف السرية والهادفة الى ارساء قواعدالاخاء بين عمال وفلاحى الدول المتحاربة والرامية الى ارساء قواعد سلم ديموقراطى بين الدول على أسس ثورية وبدون ضم أى أراض جديدة وبدون تعويضات وعلى أساس حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

ورفضت الجمعية التأسيسية هذا الاعلان بدون مناقشة . وبرفض مناقشة هذا الاعلان أثبت الاشتراكيون الثوريون اليمينيون بعدهم تماما عن المطالب الحقيقية لغالبية الفلاحين . وهكذا كشف

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٢٥ – صفحة ٢٢١

اعضاء حزب المنشفيك والاشتراكيين الثـــوريين اليمنيين عن حقيقتهم أمام الفلاحين والجنود .
وانسحب البولشفيون من الجمعية التاسيسية وتبعهم بعد قليل الاشتراكيون الثوريون اليساريون .
وتبعا لرغبة الشعب العامل قررت اللجنة التنفيذية العليـــا لمجالس سوفييت العمال ومندوبى الفلاحين والعمال فى روســيا ان تحل الجمعية التأسيسية وايدت جماهير الشعب هذا القرار فى كل انحاء البلاد .
وزاد الحلف بين الطبقة العاملة والفلاحين قوة كنتيجة لتكتيك الحزب الذى وضعه لينين تجاه الجمعية التاسيسية .

الخطوات الأولى

ولقد استعرض مؤتمر السوفيتات الروسى الثالث المنعقد فى يناير ۱۹۱۸ نتائج أول تجارب جماهيرية لبناء الدولة السوفيتية ولقد اشار لينين فى حينه الى انه حتى فى المستقبل سيكون اتحاد العمال والفلاحين المعدمين هو الدعم الثابت للسلطة السوفيتية .
ولقد وافق المؤتمر على « اعلان حقوق العمال والمستغلين » مما قوى قبضة حكم البرليتاريا ونظام الدولة السوفيتى الجديد المبنى على اساسه . وكان القرار الخاص بالأسس الفدرالية للجمهورية الروسية وحدد هذا القرار الخطوط العريضة لدستور جمهــورية روسيا الفيدرالية ولم يلق المنشفيك والثوار الاشــتراكيون أى تأييد فى محاولتهم معارضة حكم البروليتـــاريا تحت شـــعار الديموقراطية البرجوازية .
ولقد كشف لينين حقيقة الاشتراكيين المدافعين عن « المصالحة بين الطبقات » وبين أنهم خدم للبرجوازية واضاف أن الاشتراكية يمكن ان تبنى فقط فى ظروف الصراع الطبقى العنيف . ومن الخطأ أن نتصور أن هؤلاء السادة الاشتراكيين سيقدمون الاشتراكية لنا على طبق واوضح لينين فى رده على محاولات الثورة البرجوازية المضادة لتحطيم سلطة الشعب العـــامل ، أن البلشفيين يدعون بصراحة الى حرب اهلية ضد المستغلين وهذه الحرب ستدافع عن مصالح الشعب العامل الحيوية ولتاكيد هذه الفكرة ضرب المثال التالى :
« اسمحوا لى أن اروى واقعة حدثت لى عندما كنت فى عربة قطار فنلندى واستمعت الى حديث بين مجمــوعة من الفنلنديين وامراة عجوز ولما لم اكن اعرف الفنلندية فلم استطع الاشتراك فى الحديث الا ان احدهم استدار نحوى وقال متعجبا هل تعرف ماذا

قالت هذه السيدة ؟ لقد قالت لا داعى لأن يخاف المرء من شخص يحمل بندقية ففى ذات يوم قابلت فى الغابة انسانا يحمل بندقية ألا انه بدلا من أن ينتزع الحطب الذى جمعته أضاف البعض منه ».

وعندما سمعت هذه القصة قلت لنفسى فلنـــدع المئات من الصحف تهاجمنا بصرف النظر عما تدعيه هذه الصحف من انتمائها للاشتراكية أو من قربها للاشتراكية أو غيره فلندعها تصيح مئات الصيحات وتتهمنا بأنا قساة دكتاتوريون وغيرهم ولكننا نعلم أن صوتا آخر سيرتفع من بين الشعب ، وسيقول : لاداعى من الآن أن تخاف الرجل ذا البندقية لأنه يحمى الشعب العامل وهو عنيد فى كفاحه وضغطه على المستغلين (١) .

وفى خلال المؤتمر أعلن لينين أن النظام السوفيتى يسمح للعمال والفلاحين بالتعرف على كل ما يجرى لتطوير طاقاتهم البناءة ووضع كل المنجزات التكنيكية والثقافية فى خدمتهم .

وطور المؤتمر قرار الأرض وأصدر قرارا بتحـويل الارض الى ملكية اشتراكية يقضى بأن الدولة هى المالك الوحيد لكل الأراضى وأن كل انواع الملكية الخاصة ألغيت وبدون رجعة .

واوضح لينين اهمية هذا القانون مشيرا الى انه ســاعد على توحيد صفوف العمال والفلاحين واضاف أن هذا التلاحم هــو الذى سيمنح السلطة السوفيتية القوة اللازمة لتخطى كل العقبات على طريق بناء الاشتراكية .

ولقد كان انضمام مؤتمر سوفيتات العمـــال والجنود لمؤتمر سوفيتات مفوضى العمال حدثا سياسيا هاما .

ولقد افتتح مؤتمر سوفيتات مفوضى الفلاحين الثالث فى ١٣ (٢٦) يناير ١٩١٨ فى سمولنى وكان أعضاء المؤتمر من الحزب البلشفى ١١٣ من مجموع الأعضاء البالغ ٤٢٢ كما كان هنـــاك ٤٨ عضوا متعاطفا مع الحزب البلشفى وفى أول اجتماع وبناء على اقتراح سفردلوف اتخذ قرار بالانضمام الى مؤتمر سوفيتات العمال والجنود الثالث وفى المساء توجهت وفود الفلاحين من سمولنى الى قصر توريدا ولقد رحبت وفود سوفيتات العمال والجنود بممثلى طبقة الفلاحين القوية الكبيرة التعداد ولقد بدت المشاعر الأخـــوية بين الجنود والعمال والفلاحين وانتهى اللقاء بانشاد أغنية Internationale

ولقد أشار لينين الى أن السلطة السوفيتية تتقدم على طريق النصر وفى الفترة من أكتوبر ١٩١٧ الى فبراير ١٩١٨ انتشر حكم السوفيتات فى كل الروسيا تقريبا .

---

(١) لينين ٣٥ — ٢٦٩ .

ولقد لعبت المناطق الصناعية فى البلاد الدور الرئيسى فى الثورة الاشتراكية بما فى ذلك العاصمتان موسكو وبتروجراد حيث كانت الطبقة العاملة الواعية سياسيا مركزة ومنظمة ومتحدة كجزء من البروليتاريا وكان هذا الجـــزء ملتحما التحاما شديدا بالعمـال الزراعيين .

وكتب لينين « المدن او على وجه العموم المراكز التجارية الكبيرة (فى روسيا لا فرق بين الاثنين رغم أن الفرق بينهما موجود فى بعض الدول الأخرى) تحدد المصير السياسى للبلاد اساسا هذا بالطبع اذا كانت تتمتع بتأييد قوى كاف من المناطق الزراعية حتى اذا لم يظهر هذا التأييد مباشرة » (١) .

ولقد شكلت الحرب الامبريالية التى استمرت بعد انتصار ثورة اكتوبر خطرا قـــويا على السلطة السوفيتية رغم أن الحـــكومة السوفيتية منذ أول أيامها عملت كل ما فى وسعها من اجل ارساء قواعد السلام . وكان من الواضح أن انقاذ الوطن والثورة يحتاج لفترة زمنية يتم فيها ارساء قواعد السلطة السوفيتية ويتم فيها بناء جيش جديد من العمال والفلاحين قادر على الدفاع عن البلاد .

وعقد فى بتروجراد مؤتمر عام لتسريح الجيش القديم واستمرت أعمال المؤتمر من ١٥ (٢٨) ديسمبر الى ٣ (١٦) يناير ١٩١٨ وفى نفس الوقت استمرت مباحثات الســـلام فى برست مع المانيـا وحلفائها . ولقد وزع استفتاء أعده لينين عن علاقة الجنود بالحرب والسلام ورأى أعضاء المؤتمر .

وتساءل لينين « أليس من الممكن أن تتسبب الأنباء المتسربة عن محادثات السلام فى أن تضرب الفوضوية أطنابها بين صفوف رجال الجيش ويترك الكثير من الجنود الجبهة ام يجب أن نكون مؤمنين بأن الجيش سيبقى صامدا حتى بعد وصول هذه الأنباء ولن يترك الجبهة تتحطم ؟

وهل ستستطيع قواتنا من وجهة النظر العسكرية أن تصـــمد فى وجه هجمة المانية اذا ما بدأت فى ١ يناير ؟ واذا كان الجـواب لا فمتى يمكن أن تصبح قواتنا فى حالة تسمح لها بالصمود » (٢) ثم ورد سؤال عن رأى العمال فى السلام الموقع على أساس أن تضم المانيا جزءا من أراضى روسيا اليها وهل سيطالبون فى هذه الحالة باعلان حرب ثورية ؟

وبعد دراسة اجابات أعضاء المؤتمر وجد لينين أن الجيش لـن

---

(١) لينين ٤٠ صفحات ٦ ـ ٧ .

(٢) لينين ٣٥ ـ ١٧٩ .

يكون قادرا على صد هجمات الامبراليين الألمان وأن الجنود سيوافقون على السلام حتى بأسوأ الشروط ولقد تم الوصول الى هذا الاستنتاج على اساس هذا الاستفتاء وعلى أساس الحقائق والتقارير الواردة من الجبهة .

واستجابة لرغبات الجماهير ولأن لينين كان يعرف طرق تقدم وتطور الثورة قرر أن يبذل كل جهده للوصول الى السلام وبأى شروط كانت فى سبيل انقاذ الثورة .

ولكن بعض الشيوعيين الواقعين تحت تأثير الجمل اليسارية المتطرفة عن الدفاع عن مصالح الثورة العالمية طالبوا بالاستمرار فى الحرب لاعتقادهم أنه يمكن التضحية بالسلطة السوفيتية على مذبح الثورة العالمية اذ كانوا يعتقدون ان السلطة السوفيتية فى حالة توقيع معاهدة السلم ستتحول الى حكومة تقليدية . وافترض تروتسكي ان الألمان غير مستطيعين القيام بأى هجوم حقيقى وطالب باتخاذ موقف خطير هو لا حرب ولا سلام مما كان سيهدد الثورة .

ولقد أوضح لينين ضرورة تفهم الظروف الاجتماعيةوالاقتصادية والوضع السياسى فى البلاد وحالة أغلبية السكان وهم الفلاحون قبل أن يتخذ قرارا معينا بشأن السلم وقال لينين ان الفلاحين لا يريدون حربا ثورية وسيتخلصون من أى فرد يطالب أو يدعو لها » (١) .

وفى ٤ فبراير ١٩١٨ قرر ARECE بناء على تقرير لينين أن يقبل السلام على أساس الشروط المملاة بواسطة الامبرياليين وتبعا لمعاهدة السلام فقدت روسيا السوفيتية مناطق البلطيق الألمان وجزءا من بيلا روسيا استولت عليها ألمانيا ، واستولت تركيا على القار واراداجن وباتوم وتبلغ مساحة هذه المناطق مليون كيلو متر مربع ويقطنها ٤٦ مليون فرد كما ضمت معاهدة السلام عدة شروط سيئة أخرى .

وفى ٦ مارس ١٩١٨ دعى المؤتمر السابع للحزب الشيوعى الروسى (البلاشفة) لكى يناقش مسألة السلام .

وكان هذا المؤتمر هو أول مؤتمر للحزب بعد انتصار ثورة اكتوبر ومنذ انصرام المؤتمر السادس زاد عدد أعضاء مختلف مؤسسات الحزب مرتين أو ثلاث مرات وأسس الحزب مراكز له فى الريف وازداد تأثيره بين العمال والفلاحين بشكل ملحوظ وقدم لينين تقريرا عن السلام وقرر المؤتمر التصديق على معاهدة السلام بأغلبية الأصوات . ولقد اقنعت هذه الحادثة الفلاحين أن الحرب

---

(١) لينين ٣٥ صفحة ٣٣٧ .

الشيوعى بقيادة لينين هو بشير السلام والمعبر عن آفكار ورغبات الشعب العامل كله .

وبعد توقيع معاهدة السلام فى برست حصل الحزب على فسحة من الزمن كانت ضرورية للبلاد حتى يستطيع الشعب الشعور بانجازات ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ووجد كل عامل وفلاح وجندى أن السلام قد تحقق وأن الأرض قد أعطيت للفلاحين وبدأ العمال والفلاحون يدركون انهم قد أصبحوا سادة بلادهم .

نحو اقتصاد اشتراكى

ولقد أدى توقيع معاهدة السلام فى برست الى تحسين الظروف المحيطة بعمل الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية لكى يعملا على بناء اقتصاد اشتراكى .

وكان بناء وتنظيم اقتصاد اشتراكى واحدا من اصعب المهام التى كان على السلطة السوفيتية أن تضطلع بها حيث انه كان من الضرورى اجراء تغييرات جذرية فى اقتصاديات المجتمع وكتب لينين « وعندما يتم هذا التغير (فى خطوطه العريضة) سيصبح من الممكن القول أن روسيا أصبحت جمهورية سوفيتية اشتراكية »(١)

ولقد قال لينين انه من الأسهل أن نبدا ثورة فى روسيا من ان نواصل السير على الطريق الثورى . وكان على الحزب الشيوعى أن يعمل على بناء اول اقتصاد اشتراكى فى التاريخ فى دولة معظم سكانها من الفلاحين ووسط محيط من الملاك الصغار .

وكانت الصناعة والزراعة فى حالة يرثى لها فالعديد من المصانع أوقفها ملاكها الرأسماليون كما تسبب نقص المواد الخام والوقود فى تعطل عدد آخر واكتظت المدن بالمتعطلين وازدادت الحاجة للاحذية والملابس والكيروسين والصابون والثقاب وتسبب النقص فى المعدات الزراعية وحيوانات الجر والأسمدة والبذور فى عدم زراعة مساحات كبيرة من اراضى الريف كما كان الموقف الدولى موحيا بالخطر فدول التحالف (أنتنت) كانت تعد لعدوان عسكرى مكشوف ضد روسيا السوفيتية .

ولقد أعد لينين خطة وضع اسس الاقتصاد الاشتراكى فى تلك الظروف الصعبة وفى ابريل ١٩٦٨ قرأ على اللجنة المركزية للحزب « رسالة عن مهام السلطة السوفيتية فى الوقت الحاضر » .
ولقد ناقشت اللجنة المركزية هذه الرسالة ووافقت عليها وقررت نشرها فى الجرائد السيارة . ولقد نشرت جريدتا البرافدا والازفستيا مقالة لينين عن المهام العاجلة للحكومة السوفيتية .

---

(٢) لينين ٢٦ – ١٧٢ *

والقى لينين خطابا أمام اعضاء (ARCEC) ووضح فيه اهمية المرحلة الجديدة فى تطوير الثورة الاشتراكية وأشار الى دور الحزب الطليعى فى بناء المجتمع الجديد واكد أن البولشفيين قد اقنعوا الروس بصحة برامجهم وخططهم وانهم قد انتزعوا روسيا من الأغنياء لصالح الفقراء ومن المستغلين للعمال وأضاف أن المهمة التالية هى تنظيم الادارة فى البلاد وتطوير الاقتصاد الاشتراكى وتحدث لينين عن خلق الظروف التى يستحيل معها على البرجوازيين استعادة مكانتهم أو حتى البقاء .

وحدد لينين ما يجب اداؤه لارساء قواعد الاقتصاد الاشتراكى مشيرا الى ضرورة اتخاذ الاجراءات التالية وهى متابعة الانتاج والتوزيع والاشراف عليهما للالتزام بالاقتصاد فى كل نواحى الصناعة لزيادة انتاجية العمال ولرفع المستوى الثقافى لكل السكان وحتى ينتهى ارساء قواعد النظام الاشتراكى الجديد ولرفع الانتاج الاشتراكى يجب استخدام الاخصائيين البرجوازيين تحت اشراف السلطة السوفيتية واوضح لينين بجلاء أن تنفيذ هذه المهام اصبح أهم شعارات اليوم .

ولقد قاوم المنشفيك و « الثوار الاشتراكيون » خطة لينين بعنف كما تحرك الشيوعيون المتطرفون وغيرهم ضد المهام التى اقترحها لينين وانساقوا وراء الشاعرية الثورية فاتهموا لينين بالخروج عن الماركسية والتسليم للبرجوازية وهكذا وجدوا أنفسهم فى الواقع على جانب البرجوازية الصغيرة والفوضوية مما اتاح الفرصة لتحركات المنتفعين وملاك الأراضى .

وخصص لينين مقالة عن « طفولة الجناح اليسارى وعقلية البرجوازية الصغيرة » لمناقشة هذه الخلافات مع الشيوعيين المتطرفين ، ولقد تضمنت هذه المقالة التحليل العلمى للتطور الاجتماعى والاقتصادى فى حياة البلاد والأسس النظرية لسياسة الحزب فى فترة انتقال البلاد من الراسمالية الى الاشتراكية .

ولم تعترف الملايين من صغار الملاك فى المدن والأرياف بقوانين العمل الجديدة وبنظام الدولة ورفضت أن تخضع لنظام الاشراف والمتابعة احتكار القمح وقاموا بالتجارة فى السوق السوداء فى محاولة للاثراء مستغلين احتياجات الشعب .

وكان أخطر أعداء الاشتراكية هم البرجوازيون الصغار الفوضويون ولم يدرك الشيوعيون المتطرفون هذه الحقيقة وكتب لينين قائلا « اما أن نخضع البرجوازية الصغيرة لاشرافنا (ويمكننا ولا شك أن نقوم بهذه العملية اذا استطعنا ان نجمع صفوف الفقراء حول مقدمة البروليتاريا ذات الوعى السياسى) أو سيتمكن

البرجوازيون من انتزاع السلطة من يد العمال. كما تمكن النابوليون والكافاجانسيون الذين نشأوا على مبدأ الملكية من وضع حد للثورة الفرنسية » (١)

واشار لينين الى افتقارنا للمرونة ولامكانية الوصول الى الحلول الوسط مع الراسمالية المثقفة التى كانت قادرة على الامساك بالسلطة والحكم واضاف أن الراسماليين كانوا قادرين ومدربين على ادارة مشاريع هائلة وضخمة وقادرة على امداد عشرات الملايين بالبضائع .

ولقد تم الوصول الى حل وسط مع النظام التعاوني البرجوازي القديم فلقد حافظت السلطة السوفييتية على النظام القديم بتنظيماته وموارده وبدأ الحزب فى اضفاء المضمون الاشتراكي على النظام التعاوني منزها اياه من العوامل المعادية وموسعا واجباته وامكانياته الاقتصادية والسياسية . ولقد اشار لينين الى أن دور التنظيم التعاوني قد اختلف تماما .

وتبعا لآراء لينين كان توحيد كل الشعب فى تعاونيات يهدف الى قيام نظام جماعى للمتابعة والاشراف على توزيع البضائع . وقال لينين أن التعاونية تمثل جزيرة صغيرة فى المجتمع الراسمالى فمثلها مثل المحل الصغير ولكنها اذا ضمت المجتمع كله الذي اممت فيه المصانع وتستغل فيه الأرض على اسس اشتراكية اصبحت هى الاشتراكية نفسها » .

وقام الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية باتخاذ الخطوات اللازمة لتطوير الزراعة عن طريق انشاء مزارع ميكانيكية ضخمة قائمة على اسس الانتاج الجماعى .

وفى ٤ (١٧) ديسمبر ١٩١٧ ناقش مجلس قوميسارى الشعب مشروع قرار بشأن متطلبات الزراعة من الآلات والاستثمارات . ولقد اقترح لينين أن تبقى الآلات ملكا للدولة واقترح ان تصبح سوفيتات فلاحى المراكز (uyead ولجان أراضي المديريات مسئولة عنها على ان تقوم هذه اللجان بحماية ممتلكات الشعب وأن تتأكد من ان هذه الآلات لا تستخدم لتجميع الثروات فى ايدى ملاك الأراضي (الكولاك) وأن تعمل على أن تستفيد منها الطبقات العاملة فى زراعة أرضها «.

ولقد اكد قرار الأرض وقانون الأرض الأشتراكي أنه لكى يتم ارساء قواعد الاشتراكية فى روسيا السوفيتية بأقصى سرعة يجب بذل كل مساعدة ممكنة لتحسين مستوى الزراعة وخاصة للعمال

(١) لينين مجموعة اعمال ٢٦ صفحة ٢٤٨ .

الزراعيين الشيوعيين والمزارع الجماعية »
وفى يوليو ١٩١٨ وبغرض تنمية الاقتصاد الزراعى الاشتراكى قرر مجلس قوميسارى الشعب أن يخصص ١٠ مليون روبل لتنظيم مزارع جماعية مع منحها القروض والتسهيلات .
ولقد قوبلت مجهودات الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية الهادفة لتحويل الزراعة الى الاشتراكية بارتياح شـــديد من طبقات الشعب العاملةالتى عضدتهذه الاجراءات . ولقد أنشئت المزارع التعاونية فى الكثير من المديريات والمراكز . ولقد ارسيت قواعد هذه التعاونيات وقررت أن كل عضو فيها يجب عليه أن يقوم بعمل ما وتبعا للمبدأ القائل أن الكل مسئولون عن كل فرد وكل فرد مسئول عن الكل « وقامت هذه التعاونيات بالكفاح ضد شرب الخمر والغش فى العمل » .
ولقد أوضح فلاديمير اليتش فى الكثير من خطبه واحاديثه ضرورة توجيه العما لالتقدميين الى القرى لكى يقودوا فقراءهـا وينظموهم لبناء حياة جديدة . وفى بداية عام ١٩١٨ وبناء على تعليمات لينين ارسل ممثلو العمـال الى الرئيس لفتـح ورش لاصلاح الآلات الزراعية من محاريث وآلات بذر وحصاد .
وفى يناير ١٩١٨ قدمت بعثة من عمال مصنع أبوخوف وقابلت لينين وحدثته عن حلم العمال بالتوجه الى الأراضى الجديدة فى منطقة (التاى) لارساء قواعد مزارع نموذجية ولبناء ورش لاصلاح الآلات والمعدات الزراعية للفلاحين .
ولقد أمر لينين بوضع قطار خاص تحت تصرف العمال الراغبين فى التوجـــه الى ســيبريا . ونظم عمال مصـنعى أوبوخوف وسيميانيكوف تعاونية فلاحية فى (التاى) كما أسس عمال مصنع أوختا تعاونية سوفيتشنابا وعضد لينين هذه المشروعات فكتب لمجلس قوميسارى الشعب مشيرا الى أنها بداية رائعـة ويجب تعضيدها بكل الامكانيات .
وفى نهاية سنة ١٩١٨ كانت قد أسست ١٥٧٩ مزرعة جماعية و ٣١٠١ مزرعة حكومية فى البلاد . وقال لينين حينذاك أن الحياة قد وضعت أمام الفلاحين سؤالا معينا حول زراعة الأرض الجماعية وأوضحت لهم استحالة مواصلة الحياة بالطريقة القديمة أى كما كانوا يعيشون قبل الحرب .
واشار الى أن استمرار وجود المزارع الفلاحية الصغيرة وما يستتبعه من بذل للمجهود البشرى لا يمكن أن يستمر (١) »

(١) لينين مجموعة اعمال ٣٧، صفحة ٣٥٧ .

ولقد بدأ انشاء التعاونية فى ظروف اقتصادية قاسية وفى ظل صراع طبقى محتدم وبدون خبرة سابقة فى تنظيم الجماهير فى المزارع الجماعية وكان على الفلاحين أن تجرب بنفسها وأن تقارن مختلف الطرق التنظيمية وان تستعين بالمبادىء المتباينة لتوزيع الانتاج .

ولقد كان قانون الاصلاح الزراعى السوفيتى الاول بداية لارساء قواعد الاشتراكية فى الريف الا أن الانتـــاج الصغير الفـــردى ظل موجودا لعدة سنين بعده . واستمر العديد من ملايين الفلاحين فى مراحل حياتهم وعملهم بالطريقة القديمة بمزارعهم الفردية الصغيرة .

وفى بداية يوليو ١٩١٨ اجتمع المؤتمر الخامس لسوفيتات العمال والجنود والفلاحين والقوزاق لكى يستعرض نتائج عمل السلطة السوفيتية فى خلال الثمانية أشهر السابقة ولكى يحدد المهام الجديدة .

وأشار لينين فى تقريره عن الوضع الداخلى الى انه فى خلال الاشهر الثلاثة والنصف التى استتب فيها السلام انجز العمـــال والفلاحون الكثير وبحيث أصبح من الممكن القول أن عصر النقاش النظرى عن البرامج الاشتراكية قد انتهى ولن يعود ثانية وأضاف أن الملايين من العمال والفلاحين الآن مشغولون ببناء الاشتراكية ولا شك أن كل شهر يتم فيه انجاز مثل هذه الأعمال مساو لعشرة ان لم يكن لعشرين عاما من التاريخ (١)

وأضاف لينين بفخر أن الخبرة المكتسبة فى بناء الاشتراكية فى مثل هذه الظروف الصعبة نتجت عن عمل منتج ادى الى نتائج باهرة وأن الاشتراكية قد خرجت من محيط الكتب الى التطبيق العملى ولكن الأحوال تعقدت لسوء حالة الأغذية ولعدم الدقة الشائعة فى تنظيم الاقتصاد ثم أضاف أن الطريقة الوحيدة لانقاذ الثورة تكمن فى التحالف الوثيق بين فقراء القرية وجماهير العمال الزراعيين .

ولقد عكست المناقشات التى جرت فى المؤتمر الصراع الطبقى الحاد فى كل انحاء الريف وأوضح لينين ان الصراع الطبقى قد وصل الى منبته ولا توجد قرية لم يحتدم فيها هذا الصراع بين عدد قليل من ملاك الأراضى (الـكولاك) وبين الاغلبيـــة العظمى من الفلاحين الفقراء ومتوسطى الحال الذين لم يعد لديهم مخزون من القمح والذين لا يهدفون الى الاثراء على حساب الآخرين (١) .

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣٦ صفحة ٤٩٩ .

(٢) لينين مجموعة أعمال ٣٧ صفحة ٣ .

ولقد عبر الثوار الاشتراكيون اليساريون عن وجهة نظر ملاك الأراضي « الكولاك » وقاوموا في المؤتمر بشراسة تحكم البروليتاريا في الطعام واشرافها العام على انتاجه واشتراكهم مع لجان الفلاحين الفقراء .

أي أنهم عارضوا اي اجراء يهدف الى الاضرار بمصالح الكولاك الاقتصادية او بتأثيرهم على جموع الفلاحين ولكن كل جهودهم الهادفة الى التعريض بنشاط الحزب الشيوعي في الريف فشلت تماما . ووافق المؤتمر على السياسة الخارجية والداخلية للحكومة ووافق على دستور جمهورية روسيا الاتحادية وقال لينين ان اية دولة اخرى لا يمكنها ان تعطينا في مائتي عام ما يعطينا اياه الدستور السوفييتي (١) .

ولكن العدوان العسكري الغاشم بدأ واضطرت قوات انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة واليابان الشعب على حمل السلاح لمقاومة عدوانها ولقد غير العدوان والحرب المستمرة اتجاه سياسة الحزب الاقتصادية في الريف واعلنت (شيوعية الحرب) كاجراء ضروري مؤقت . وبدلا من الخطوات الاقتصادية الداخلية الهادفة الى اجتزاز بقايا البرجوازية الصغيرة الفوضوية اضطرت السلطة السوفييتية الى اتخاذ خطوات ثورية لا علاقة لها بالاقتصاد .

الكفاح ضد الجوع

وفي ٩ مايو ١٩١٨ اعلن مجلس قوميساري الشعب أن الوضع في مدينة بتروجراد قد تدهور بشكل غير متوقع فلقد انتهى مخزون الخبز ويوزع على السكان بقايا دقيق البطاطس والخبز الجاف .

واضاف البيان ان العاصمة الحمراء على وشك الهلاك من الجوع .. ولقد نتج هذا الوضع الحرج عن سوء التنظيم الاقتصادي العام الناتج عن الحرب الامبريالية . الا أنه كانت هناك اسباب أخرى منها أن العديد من الفلاحين الأغنياء كانوا قد خزنوا كميات كبيرة من القمح ورفضوا تسليمها للسلطات السوفيتية كما اتحد ملاك الأراضي (الكولاك) مع قوى الثورة المضادة الخارجية وتسببوا في اضرابات داخلية وحاولوا اجتذاب الفلاحين متوسطي الحال الى جانبهم ..

وحاولت قوى الثورة المضادة الروسية المعضدة من جانب انجلترا وامريكا وفرنسا وغيرها من الدول الامبريالية القيام

(١) لينين مجموعة اعمال ٤٠ صفحة ٣٩ .

بمحاولة للتخلص من الحكم السوفييتي . فقاموا بعمليات ارهابية ضد قيادات الحزب والدولة وفي ٣٠ اغسطس ١٩١٨ قاموا بمحاولة حمقاء لاغتيال لينين واتحد ملاك الأراضي مع المنشفيك والثوار الاشتراكيين والضباط البيض وقامو بمحاولات عاتية لتحطيم لجان الفقراء وقتل الشيوعيين والعاملين السوفييت وغيرهم من الفلاحين النشطاء سياسيا كما حاولوا أن يسرقوا ويتلفوا مخازن البضائع والطعام الحكومية .

ولقد أدت هذه المحاولات الى تذمر شديد وطالب الشعب العامل بمعاملة الارهابيين ورجال الثورة المضادة بقسوة شديدة .

ولقد رسم لينين صورة الموقف في مقابلة تالية له مع كلارا زيتكين فقال :

« اننا الآن نعيش أصعب ايام الثورة فالصراع الطبقي والحرب الأهلية قد تغلغلت بعمق في صفوفنا ولقد انقسمت كل القرى فالفقراء يعضدوننا بينما يحاربنا ملاك الأراضي (الكولاك) بشراسة وعناد كما أن الدول المتحالفة (Entente والبرجوازية تبذل كل ما في وسعها للتخلص منا (١) .

ولقد كان لينين مقتنعا بأن الطبقة العاملة ستهزم أعداء الثورة على أساس أنها معضدة من غالبية الفلاحين وكان على الحزب الشيوعي أن يقوم بتقوية تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين المعدمين وأكد فلاديميراليتش ان هذا التحالف هو القاعدة الوحيدة التي يمكن على أساسها الدفاع عن السلطة السوفيتية ورد العدوان الضاري والجيش الأبيض وانقاذ الشعب العامل من الجوع والعبودية بين أيدي الامبرياليين .

وفي مقاله تحت عنوان « الى الأمام أيها الرفاق العمال الى آخر معركة فاصلة » كتب لينين « ان الكولاك هم اعداء الحكومة السوفييتية فاما أن يهزم الكولاك أعدادا هائلة من العمال أو أن يستطيع العمال انهاء ثورة هذه الأقلية ضد حكومة الشعب العامل ولن يكون هناك طريق وسط ولا يمكن حتى مناقشة امكانية السلام حتى لو طالبوا به فهم دائما مستعدون للاتفاق مع الاقطاعيين والقيصرية والكهنة ولكنهم غير مستعدين اطلاقا للاتفاق مع الطبقة العاملة (٢) .

ولقد قاومت الحكومة والحزب بحزم كل محاولات الكولاك والمستغلين وأوضح لينين أن الصراع من أجل القمح انما هو

(١) لينين مجموعة أعمال ٥٠ صفحة ١٢٨ .

(٢) لينين مجموعة أعمال ٣٧ صفحة ٤٠ .

صراع من اجل الاشتراكية نفسها ».
وفى مايو سنة ١٩١٨ وافق مجلس قوميسارى الشعب وARCEC على قرار منح بمقتضاه قوميسار الشعب لشئون التموين سلطات فوق العادة للكفاح ضد البرجوازية فى الريف وأعلن أن هؤلاء الذين اختزنوا القمح وحاولوا الاثراء عن هذا الطريق ما هم الا أعداء للشعب ويجب تقديمهم للمحاكمة أمام محاكم الثورة .
وفى يونيو ١٩١٨ ووفق على قرار اقترحه لينين وينظم لجان الفلاحين الفقراء . وكان على هذه اللجان أن توزع القمح وغيره من الضروريات والأدوات الزراعية وأن تساعد فى تنظيم التموين محليا ومصادرة مخزون القمح لدى الكولاك وغيرهم من الفلاحين الفقراء كما انتزعت الدول من الكولاك ٥٠ مليون هكتار ووزعتها على الفلاحين الفقراء والمتوسطين . وساعدت هذه اللجان السلطات فى تجنيد عدد كبير من الفلاحين فى الجيش الأحمر كما ساهمت فى تنظيم تعاونيــــات زراعية وفى تطـــوير الزراعة على اســـس اشتراكية ..
ولقد أرسل الحزب الشيوعى والطبقة العاملة احسن ممثليهم للعمل فى « جبهة الطعام » حيث أنها كانت بالفعل المكان الذى سيقرر فيه مصير الثورة ولقد وفروا الطعام وعاونوا الفلاحين الفقراء فى كفاحهم ضد الكولاك خبأوا القمح من الدولة .
وفى مايو ١٩١٨ توجه لينين بخطاب الى عمــال بتروجراد الذاهبين الى « جبهة الطعام » فقال « أيها الرفاق العمال يجب عليكم أن تذكروا أنه فى امكانكم أنتم فقط انقاذ الثورة ولا يمكن لأى انسان آخر أن يقوم بهذا العمل » .
وفى الفترة بين يوليو ١٩١٨ ومارس ١٩١٩ توجه ما يزيد على ٤٠ الف عامل سابق الى الريف وفيمابين سبتمبر وأكتوبر عام ١٩١٨ وفر ما يربو على ٢٩ مليون بود « وحدة وزن تعادل ١٦٫٣٨ كجم » من القمح . وهكذا خابت آمال الامبرياليين الأجانب وقوى الثورة المضادة الداخلية المعلقة على التخلص من الحــكم السوفيتى بيد الجوع القارصة » .
وكانت الفرق العاملة فى انتاج وتوفير الطعــام تعطى جزءا من الطعام للفلاحين الفقراء وكان هذا عاملا هاما فى توثيق التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين المعدمين وبين السلطة السوفيتية فى الريف . وتحدث لينين فى ٢١ يونيو ١٩١٨ فى نادى سمولنسكى فقال « عندما اقرأ تقريرا عن أن فرقة توفير الطعام العاملة فى مركز اسمان مديرية تامبوف قد اعطت الفلاحين الفقراء ٣٠٠٠ بود من القمح الذى جمعته والبالغ ٦٠٠٠ بود استطيع أن أؤكد

انه حتى لو لم تكن هناك أى فرقة أخرى قامت بمثل هذا العمل؟ أن الحكومة السوفييتية تقوم بعملها حيث انه لا يمكن ايجاد مثل هذه الفرقة في أى بلد آخر من العالم » (١) ولقد ساعدت فرق الطعام هذه الفلاحين الفقراء . وكان العمال يكونون خلايا شيوعية بمجرد وصولهم الى القرى وفي سبتمبر ١٩١٨ أرسلت اللجنة المركزية خطابا الى المنظمات الحزبية دعت فيه الى زيادة تأثير البلشفيين بين صفوف العمال الزراعيين ودعت الى رفع هامة التنظيمات الحزبية في الريف . وكان أعضاء لجان الفلاحين الفقراء أول المنضمين الى الحزب وارتفع عدد الخلايا الشيوعية من ٢٠٣ عام ١٩١٧ الى ٢٣٠٤ في عام ١٩١٨ أى انه زاد ١١ مرة .

ولقد قام العمال وفرق الطعام ولجان الفلاحين الفقراء بتوجيه ضربة قاصمة للكولاك مما أدى الى تقوية السلطة السوفيتية في الريف .

ولقد ادت هذه اللجان عملها بنجاح وفي نوفمبر ١٩١٨ قرر مؤتمر سوفيتيات روسيا غير العادى السادس ان تنضم هذه اللجان الى مجالس السوفيت الزراعية ووطدت دعائم الحكم السوفيتى فى الريف .

تقوية التحالف مع الفلاحين المتوسطين

وكما هو معروف ففى فترة الثورة البرجوازية الديمقراطية عملت الطبقة العاملة الى جانب كل الفلاحين حيث أن مصلحة الكل كانت تقتضى التخلص من الملكية الخاصة وغيرها من آثار عبودية الارض للحصول على الحريات الديمقراطية ولقد استنفذ هذا الشعار أغراضه في أثناء ثورة شهر فبراير ١٩١٧ عندما تحقق الهدف الاستراتيجى الرئيسى وهو التخلص من القيصرية .

وفي أثناء الثورة الاشتراكية عندما اصبحت المهمة التخلص من سيطرة البرجوازية وارساء حكم البروليتاريا رفع الحزب شعار تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين المعدمين ضد الاضطهاد والبرجوازية الزراعية وتحييد الفلاحين متوسطى الحال بالنسبة للصراع فلقد كان معدمو الفلاحين هم الحليف الطليعى للبروليتاريا وللثورة الاشتراكية حيث انهم كانوا يعانون من الاستغلال مثل البروليتاريا الحديثة أما الفلاحون متوسطو الحال ، فنظرا للازدواج فى حالتهم حيث انهم عمال زراعيون وفى نفس الوقت ملاك لاراضيهم يعانون من التردد بين البروليتاريا والبرجوازيا وشغلوا موقف الانتظار والترقب . وعليه فان سياسة الحزب

(٢) Ibid صفحة ٤٢٨ – ٤٢٩ .

الهادفة الى تحييد هؤلاء الفلاحين لمنعهم من الانضمام الى صفوف البرجوازيين كانت تمثل الخط الصحيح الوحيد فى المرحلة الثانية من الثورة .

ولقد اتخذت الحكومة السوفيتية عدة اجراءات لتشجيع الفلاحين المتوسطين للانضمام الى صفوف مؤيديها فأرسلت البضائع الصناعية للاستبدال بالقمح وقام مجلس قوميسارى الشعب بناء على اقتراح لينين بادخال نظام المبادلة الاجبارى فى المناطق المنتجة للحبوب .

ولقد تم رفع أسعار الحبوب قبل مواسم حصاد وتشوين القمح فى عام ١٩١٨ ولقد سايرت اجراءات الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية تقدم الثورة الاشتراكية وكنتيجة للعمل التوضيحى الدعائى الكبير بين جماهير الفلاحين انضم الفلاحون متوسطى الحال المترددون بين الثورة والثورة المضادة الى ناحية الحكومة السوفيتية وكتب لينين فى أغسطس ١٩١٨ « أن برنامج العمال ذوى الوعى السياسى يتلخص فى التلاحم مع الفلاحين الفقراء والاتفاق مع الفلاحين متوسطى الحال ومقاومة الكولاك مصاصى الدماء وأعداء الشعب المستغلين الذين استفادوا من الجوع » (١).

وهكذا استمرت صلاحية الشعار الاستراتيجى الثانى للحزب لمدة عامين واستهلك فى نهاية عام ١٩١٨ وفى بداية ١٩١٩ عندما اتخذ المؤتمر الثامن للحزب الشعار الثالث فى موضوع الفلاحة حيث أكد استمرار الاعتماد على الفلاحين الفقراء والتحالف مع متوسطى الحال مع الكفاح الذى لا رحمة فيه ضد ملاك الاراضى « الكولاك » .

ولقد أوضح لينين أن متوسطى الحال من الفلاحين قد انضموا لصفوف السلطة السوفيتية للاسباب التالية :

أولا : نجاح الجيش الأحمر فى قتاله ضد المعتدين الأجانب والجيش الأبيض .

ثانيا : الثورات فى ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية .

ثالثا : تصرفات المعتدين الأجانب والجيش الأبيض فى الأراضى المحتلة ولقد أشار فلاحى الفولجا والاورال وغيرهما من المناطق التى احتلتها قوى الثورة المضادة مؤقتا الى أن الجيش الأبيض والثوار الاشتراكيين يحاولون اعادة النظام الكريه السابق ، وكذلك اعادة المصانع الى الراسماليين والأرض الى الاقطاعيين .

رابعا : السياسة السليمة للحزب الشيوعى وعمال المدينة فى الريف .

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣٧ صفحة ٤٢ .

ولقد كان الحزب بالطبع يدرك أن تردد متوسطى الحال لم ينته حيث أن وضعهم الاقتصادى كان يحتم عليهم التردد وكان من المتوقع أن يستمروا طويلا على هذا المنوال الا أن السياسة السليمة ستؤدى فى النهاية الى ضمهم الى صفوف السلطة السوفيتية .

ولقد اهتم فلاديمير اليتش بتثبيت أركان سياسة الحزب نحو الفلاحين متوسطى الحال وادارة دفة الأمور بمهارة ولقد طالب بأن تنظر مطالبهم بموضوعية تامة وباهتمام كبير وأن لا تقوم السلطات المحلية بأية اجراءات عفوية فى هذا المجال ولقد أشار الى أن الخلط بين متوسطى الحال والكولاك خطأ شنيع يحطم ليس فقط القرارات والسياسة السوفيتية بل ومبادىء الشيوعية نفسها فالدولة السوفيتية يجب أن تقدم لهم البضائع الصناعية من المدينة والآلات الزراعية بصفة خاصة بل والبذور وأن تمنحهم مزايا معينة وفى نفس الوقت يجب أن تقمع أى تصرفات عفوية يمكن أن تثير تذمرهم .

وعندما بدأت لجان فقراء الفلاحين تعارض متوسطى الحال فى بعض المناطق مساوية بينهم وبين الكولاك اتخذ الحزب اجراءات عاجلة لانهاء هذه الأخطاء وفى ١٧ أغسطس ١٩١٨ وقع لينين وتساربوبا برقية عن موضوع حلف الفلاحين والعمال وارسلت هذه البرقية الى كل سوفيتات المديريات ونوابها والى قوميسارى التموين وأكدت البرقية أن الدولة السوفيتية لا تحارب الفلاحين متوسطى الحال وأن هدفها هو تحقيق الوحدة بين بروليتاريا المدينة وعمال القرية ونصف البروليتاريا الزراعية التى لم تستغل ولا تستغل أحدا .

واشارت البرقية الى أن تحالف العمال والفلاحين قد قهر الاقطاع والبرجوازية فى أكتوبر الماضى وان هذا التحالف هو القادر على الاحتفاظ بالأرض للفلاحين وبالمصانع للعمال وهو الذى سيقوم قبضة العمال والفلاحين على الحكم كما أن هذا التحالف سيؤدى الى انتصار الاشتراكية » (١) .

وقبل نهاية عام ١٩١٨ كانت قد حدثت عدة تغييرات سياسية واقتصادية فى الريف فلقد ارتفع مستوى نصف الفلاحين المعدمين على الأقل الى مستوى متوسطى الحال واصبح معظم سكان القرية من متوسطى الحال .

وعلى اساس ان المزارع الفردية الصغيرة ستستمر لمدة طويلة

---

(١) لينين مجموعة اعمال ١٨ صفحة ١٤٤ .

ولزيادة انتاجيتها قرر مؤتمر الحزب الشيوعى الثامن أن ينظم موضوع أراضى الفلاحين بامدادها ببذور ممتازة وبأسمدة صناعية وبتحسين نمو الماشية والدواجن ورفع المعرفة الزراعية ومساعدة الفلاحين لتطوير زراعاتهم واصلاح معداتهم فى الورش السوفيتية وانشاء محطات الجرارات والمحطات التجريبية والقيام بعمليات اصلاح الأراضى .

ولقد لاحظ لينين انه فى حالة تنفيذ هذه الاجراءات سينضم الفلاحون ولا شك الى جانب السوفيت بل لقد قال « تصوروا انه من الممكن أن نزود الفلاحين غدا بمائة الف جرار ممتاز وأن نوفر لهم الوقود والسائقين . وعلى الرغم من ان هذا خيال محض الآن ـ فأنا لا اشك فى ان الفلاح المتوسط سيقول انه يؤيد الشيوعية »(١)

وبناء على اقتراح من لينين توجه الألوف من الشيوعيين والعمال التقدميين الى القرى لمعاونة هيئات الحزب المحلية ومجالس السوفييت ولشرح المعنى الحقيقى لقرارات مؤتمر الحزب ونشر تقرير لينين « العمل فى الريف » . ونشرت قرارات مؤتمر الحزب على أوسع نطاق وعلقت عليها الصحف الرئيسية البرافدا والازفستيا والبندوتا كما نشرت هذه الصحف كل المواد المتعلقة بأعمال ونتائج المؤتمر .

وتوجه قطار خاص للدعاية بقيادة كالينين رئيس (ARCEC) وسمى قطار ثورة أكتوبر وزار هذا القطار الكثير من المناطق فى البلاد ووجه كالينين العديد من الخطابات أشار فيها الى ضرورة توطيد أركان حكم البروليتاريا الذى يقوم أساسا على التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين على أن يقوم العمال بالدور القيادى فى هذا التحالف وشرح أن أهداف العمال والفلاحين متماثلة وأن تحالفهم الوثيق قادر على هزيمة المعتدين الأجانب والجيش الأبيض .

وفى ابريل ١٩١٩ أصدر (ARCEC) عدة قرارات بناء على اقتراح لينين منح بمقتضاها الفلاحين المتوسطين عدة امتيازات ومنها « تسهيل تغطية الضريبة الاضافية الثورية بالنسبة للفلاحين المتوسطين » و « فوائد تغطية الضريبة نوعيا » و« اجراءات لمساعدة الصناع » وتبعا لهذا القرار الأخير صرح للفلاحين بانشاء ورش خاصة يعمل بها مساعدون لهم على أن يكون لهم الحق فى تسويق بضائعهم بالطريقة التى تروق لهم ولقد أعطى هذا الحق

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٢٧ صفحة ٤٥٣ .

للحرفيين لتحسين حالة الفلاحين المتوسطين الاقتصادية ولرفع انتاجية العمل .

كما اتخذت الدولة عدة اجراءات لتغطيــة مطالب الريف من البضائع المختلفة واتخذ الحزب عدة اجراءات محددة لنشر الدعاية الشيوعية ولرفع المستوى الثقافي العام في القرى فافتتحت الألوف من المدارس وغرف القراءة في القرى والمــكاتب في محاولة هائلة للقضاء على الجهل . وارسل عشرات الألوف من سكان المدينة للعمل في القرى كمدرسين . وفي خلال السنوات الأولى من الحكم السوفيتي (حتى نهاية ١٩٢٠) تعلم ٧ مليون شخص معظمهم من الفلاحين القراءة والكتابة .

ولا شك أن السياسة الصحيحة التي اتبعها الحزب الشيوعي بالاضافة الى العمل التنظيمي الضخم الذي تم في الريف مع المساعدة المادية والمعنوية الضخمة من جهة الدولة لعبت دورا كبيرا في تقوية التحالف السياسي والعسكري بين الطبقة العاملة والفلاحين في أثناء الحرب الأهلية .

كل شيء من أجل النصر

ولقد كان على الجيش الأحمر وعلى كل مواطن أن يبذل كل ما لديه للكفاح ضد المعتدين وضد الأعداء الداخليين .

ولقد كان لينين يدعو كل وفود الفلاحين التي تقابله للوقوف الى جانب الطبقة العاملة في كفاحها ضد المعتدين الأجانب وضد الجيش الأبيض ولقد حققت الوفود أمل لينين ودعت المواطنين للنهوض والدفاع عن مكاسبهم الثورية .

فعلى سبيل المثال قام تشيكونوف وهو داعيــــة ذكي ومبتكر بزيارة لينين مع وفد من الفلاحين ثم نشر مقالتين في جريدة بيدنوتا قال فيهما « انقذوا انفسكم واطفالكم من العبودية الدائمة قبل أن يصبح الوقت متأخرا . أرسلوا أبنـــاءكم وأحفادكم لكي يطردوا المعتدين

واجتاحت البلاد موجة وطنية عارمة لتجنيد الفــلاحين في صفوف الجيش الأحمر وفي اجتماع جرى في قرية بافيوشكوفا من مركز كراسناكوتســكا مديرية سامارا اتخــذ الفلاحون التوصية التالية : « اننا ننادي كل الناس للانضمام الى صفوف الجيش الاحمر لكي نستطيع تحقيق حلم الشعب العامل ــ الاشتراكية » .

ولقد اتخذت الدولة السوفيتية عددا من الاجراءات لدفع قوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية واطلق على هذه الاجراءات اسم شيوعية الحرب .

ولقد رسم لينين سياسة شيوعية الحرب كاجراء اضطراري

يهدف الى تقوية التحالف العسكرى والسياسى للطبقة العاملة والفلاحين حيث ان هذا التحالف هو الأساس الوحيد للدفاع عن الجمهورية السوفيتية ضد أعدائها الداخليين والخارجيين .

فأممت كل المؤسسات الصناعية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ووجه انتاج معظمها لسد حاجات القتال ولكن توفير الطعام استمر من أصعب المشاكل .

وفي نهاية ١٩١٨ كانت الجمهورية السوفيتية تتكون من ٢٥ مديرية كان على ١٧ منها أن تورد القمح وحيثما حل الجيش الابيض والمعتدون الأجانب كانوا يتلفون الزراعات مما أدى الى نقص امدادات الطعام للجيش وللمدن الى حد خطير .

واحتكرت الحكومة السوفيتية القمح والحبوب وادخل نظام البطاقات وأممت كل المؤسسات التجارية فى البلاد .

وفى ١١ يناير ١٩١٩ اتخذ مجلس قوميسارى الشعب قرارا وقعه لينين يقضى بالاستيلاء على مخزون القمح وغيره من المواد الغذائية ولقد مس هذا القرار المناطق المنتجة للقمح والموجود بها مخزون منه . ولقد ترك للفلاحين قمح كاف للطعام وللبذور وللماشية وصودر الباقى منهم بأثمان محددة . وفى التطبيق الواقعى لهذا القرار حدث أن بعض القمح اللازم للفلاحين انفسهم صودر ، واستخدمت العملات الورقية التى كانت تفقد قيمتها بسرعة فى ذلك الحين لدفع الثمن فى معظم الحالات .

ولقد تسبب نقص حجم التبادل التجارى فى الأسواق فى أن تفقد العملات قيمتها فمعظم البضائع كانت توزع بواسطة الحكومة بلا ثمن غالبا كما كان تبادل البضائع بين المدينة والقرية يتم مباشرة .

ولا شك أن مصادرة مخزون الطعام لايمكن أن تشجع الفلاحين على مضاعفة انتاجهم لانها لم تكن طريقة تعامل عادية بين المدينة والقرية بل اجراء اضطرارى أملته ظروف الحرب والجوع وكان يهدف الى تموين الجيش بالخبز والى انقاذ القوى المنتجة من الهلاك جوعا ولقد تحقق هذا الهدف .

وكانت هناك فى الواقع أسس اقتصادية لتحالف العمال والفلاحين ولاحظ لينين أن هذا التحالف ظاهرة جديدة ولا تقوم على أساس العلاقات الطبيعية بين المنتج والمستهلك اذ أن الفلاحين يقدمون انتاجهم للجيش الأحمر ويساعدهم الجيش على حماية ممتلكاتهم » (١)

---

(١) لينين مجموعة اعمال ٤٤ صفحة ٤٤ .

وفي ذلك الوقت جرت مناقشات كثيرة حول طرق تحويل الزراعة الى الطريق الاشتراكي وكان لينين يشير الى ان هذا التحول يجب أن يتم بالطريقتين الآتيتين :

أولا ـ بتنظيم مزارع حكومية على أراضي يملكها الشعب كله .

ثانيا ـ بتنظيم مزارع جماعية « كولخوز » على ارض يمتلكها الفلاحون جماعيا على أن تقدم لها البروليتاريا كل المساعدات المادية والتنظيمية والمالية لتطويرها وعلى الرغم من الفارق بين المزارع الحكومية والجماعية انهما ذاتا اتجاه مشترك حيث ان كلتيهما مزارع ذات طابع اشتراكي .

ولقد أصبح هذا الاقتراح الذى قدمه لينين أساس العمل فى فترة النضال من اجل تحويل الزراعة الى الطريق الاشتراكى .

وفى مارس ١٩١٩ عقد المؤتمر الأول لعمال مديرية بتروجراد الزراعيين وأشار لينين الى أن المزارع السوفيتية قد نظمت لكى تنتج اكثر واحسن وأرخص من قبل ووجه المزارع الحكومية لمساعدة الفلاحين المجاورين .

وفى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى الروسى (البولشفى) قدم لينين الاقتراحات الهامة التالية :

« فى مجال التعليق على خطاب الرفيق راكرفسكى (من رجال الحكومة) أود أن أقول انه مخطىء فى قوله أن المزارع الحكومية يجب أن تكون الأساس فى البناء الشيوعى حيث اننا لايمكننا أن ننظم الأمور بهذه الطريقة فى أية ظروف ويجب علينا أن نقبل الحقيقة وهى اننا سنستطيع تحويل عدد قليل من المزارع التقدمية الى مزارع حكومية والا فاننا لن نستطيع أن نقيم تحالفا أكيدامع صغار الفلاحين ونحن فى حاجة لهذا الحلف » (١) ولقد نظر لينين الى هذا الموضوع على أساس مثل حكومة البروليتاريا العليا وعلى أساس ضرورة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين .

ولقد نظمت معظم المزارع الحكومية فى المناطق التى كانت الاقطاعيات الخاصة منتشرة بها وفى المتوسط كانت مساحة ارض هذه المزارع ٥٠٠ هكتار وهى مزارع كثيرة بمقاييس ذلك الوقت .

وظهرت أولى المزارع الجماعية الى الوجود فى عام ١٩١٨ وعوملت على أسس واحدة مع المزارع الحكومية وحصلت على المساعدات المادية مثلها تماما .

وفى مارس سنة ١٩١٩ سجل مكتب التعاونيات فى جمهورية

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣٩ صفحة ٣٧٠ .

روسيا السوفيتية ١٦٩٢ مزرعة جماعية و ٦٠١ تعاونية في ٣٤ مديرية .

ولقد لجأ الحزب الشيوعي الى الشرح الوافي والى الامثلة الناجحة لكي يتمتع الفلاحون بفائدة تنظيم المزارع الجماعية ومزاياها المتعددة .

وفي عامي ١٩١٨ - ١٩١٩ وباقتراح من لينين اتخذت عدة اجراءات لنشر وتقوية المزارع الجماعية . وصدر قرار عن تخصيص ميزانية مقدارها ١٠٠٠ مليون روبل لتقديم قروض ومنح لتطوير الزراعة .

وساعد الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية الفلاحين بكل الطرق الممكنة للسير على الطريق الاشتراكي ولكنهما حذرا اعضاء التعاونيات والمزارع الجماعية من التخاذل والتكاسل ولفتوا نظرهم الى ضرورة البحث عن طرق داخلية لتحسين وتطوير المزارع الجماعية .

وتوالت التقارير من كل انحاء البلاد تشير الى انشاء المزارع الجماعية .

ففي مديرية فيتبسك زاد عدد المزارع الجماعية في خلال ٣ سنوات من الحكم السوفيتي ١٢ مرة وزاد في عام ١٩١٨ ٣٦ مرة وفي ١٩١٩ - ٣٣٤ مرة وفي ١٩٢٠ وصل الى ٤٢٩ ضعفا .

وفي ٩ مديريات أوكرانية انشئت ٤٩٧ مزرعة جماعية في ذلك الحين .

وكان لينين سعيدا بهذا النجاح وكان مقتنعا بانتصار علاقات الانتاج الاشتراكية في الريف . وقال في عام ١٩١٩ انه متأكد من أننا سنصل الى وقت تصبح فيه هذه المزارع الجماعية المنتشرة مهدا لنشر الأفكار الشيوعية بين الفلاحين ومثالا حيا يقنعهم بانه على الرغم من انها مولود صغير الا انه طبيعي وناشىء من النظام الاشتراكي الجديد (١) .

وفي ظروف الجوع وعدم النظام والحرب الأهلية لعبت المزارع الجماعية دورا هائلا الا انه حتى فلاديمير اليتش لاحظ انها تضم عوامل متراكمة ومتكاملة تعوق تقدمها ولا تتيح الفرصة لرفع انتاجية العمل .

وفي أثناء تنظيم التجميع لوحظ ان المزارع الجماعية التي حولت فيها كل أدوات الانتاج بما فيها ممتلكات الفلاحين الخاصة

---

(١) لينين مجموعة أعمال ٣٩ - ٣٨٢ ص.

الى املاك اشتراكية ووزعت كل المكاسب المادية بالتساوى لم تحصل على رضاء الفلاحين مثل المزارع الجماعية التى نظمت بصور ابسط وبدات التعاونيات تزداد عن المزارع الجماعية ففى التعاونيات اممت أدوات الانتاج الرئيسية بينما احتفظ الفلاحون بقطع أرض صغيرة وكانت الأرباح توزع على اساس العمل الذى يؤديه الفلاح .

ولخص لينين خبرة انشاء المزارع الجماعية فأشار الى أنها اتحاد يقوم على اساس الاختيار الحر بين الفلاحين بفرض تنظيم مزارع اشتراكية كبيرة واسمها يدل على اتصالها المباشر بالشيوعية مما يلقى على هذه المزارع مسئولية كبيرة تتطلب ادارة فائقة وممتازة .

ولا شك أن تطوير الزراعة فى سنوات الحكم السوفيتى الأولى تجربة اجتماعية اقتصادية هامة جرت لأول مرة فى تاريخ البشرية ولقد اثبتت ضرورة التجميع فى مجال الزراعة .

عندما انتهت الحرب الأهلية وجهت الدولة السوفيتية اهتماماتها لتطوير اقتصادها ولرسم خطة متكاملة قائمة على أساس كهربة كل البلاد .

وكان لينين يعتبر أن الصناعة الثقيلة الضخمة هى مفتاح التحول الاشتراكى فى مجال الزراعة ، والشرط الرئيسى لانتزاع جذور الرأسمالية من الريف وكتب قائلا « اننا نؤكد أن الصناعات الكبيرة هى الوسيلة الوحيدة لانقاذ الفلاحين من الحاجة والجوع ولا شك أن الجميع يوافقون على هذا ولكن ما هى الطريقة للوصول الى هذا الهدف ؟ ولا شك أن اقامة الصناعة على الأسس القديمة ستشغل وقتا طويلا وستتطلب جهدا كبيرا وعليه يجب أن نبنى الصناعة على أحدث الطرق إى أننا يجب أن نوجه اهتمامنا الى الكهرباء » (1) وفى عام ١٩٢٠ انعقد المؤتمر الثامن لمجالس السوفييت واقترح لينين خطة ضخمة لارساء القواعد الاقتصادية للاشتراكية وأطلق عليها البرنامج الكامل للحزب واقترح الشعار الشهير « الشيوعية هى السلطة السوفيتية وكهربة البلاد كلها » .

ووافق المؤتمر على خطة اللجنة المركزية لكهربة الروسيا GOELRO وحددت هذه الخطة الاتجاهات الرئيسية لتطوير اقتصاديات البلاد فى غضون السنوات العشر أو الخمس عشرة التالية وبنيت على أساس توفير الكهرباء فى معظم المناطق الهامة اقتصاديا كما أوضحت الخطة المراحل الأولى لوضع اللبنات

---

(1) لينين ٤٤ – ٥٠ ، ٥١ ص .

الأولى في بناء الصناعة الثقيلة ثم لتغيير الزراعة تماما وتحويلها الى الطريق الاشتراكي على أساس تطوير علاقات الانتاج الاشتراكية وتوفير الآلات الزراعية الحديثة وأكدت الخطة أن الدولة السوفيتية سيكون عليها أن تؤثر على الفلاحين وان تطور وسائل الانتاج وان تقودهم بالتدريج في طريق العمل الزراعي الاشتراكي والى مستوى زراعي تكنولوجي عال .

ولا شك أن الخطة كانت واسعة وجريئة في تحديد المهام اللازمة لميكنة وكهربة الزراعة واحتوت على اجراءات مدروسة لتفادى النقص في احتياجات البلاد في هذا الجانب الاقتصادى الخطير . ولقد اقترحت الخطة استغلال اراض جديدة بمعاونة الجرارات وغيرها من الآلات الحديثة وتأسيس مزارع حكومية وتعاونية معدة بالآلات والمعدات الحديثة والقضاء على نظام الحقول الثلاثية والزراعة على الخطوط وادخال دورات زراعية صحيحة كما تطلبت التوسع في استخدام منجزات العلوم الزراعية والبيطرية والتوسع في استخدام الكيماويات في مجال الزراعة .

وأشارت الخطة الى أن الكهرباء تلعب أيضا دورا هاما في انتاج مختلف أنواع الأسمدة الصناعية وأن الكهرباء الرخيصة الثمن هي السبيل الوحيد لتثبيت الأزوت في صورة السماد الشيلي .

ولا شك أنها كانت خطة جريئة وكتب جوركى أن لينين كان ينظر من الحاضر خلال نافذة المستقبل فلقد كان مدركا تماما لامكانيات الشعب الحر وكان مؤمنا بقوته ومهارته وأدرك أن الكهرباء تحيل الأماكن الموحشة الى مناطق حية وستحمل السعادة الى الشعب العامل .

ولقد عارض بعض من لم يؤمنوا بامكانيات الشعب خطة لينين لكهربة البلاد وحاولوا اثبات استحالة تنفيذ خطة البناء الاشتراكى هذه وقدموا خطة اخرى تهدف ايضا الى كهربة البلاد على أسس تكنولوجية عتيقة وغير متطورة ولقد اقترح تروتسكى الاعتماد على قوة أذرع العمال بدلا من التقدم التكنولوجى وفى مجال نقده للخطة أشار الى التكاليف الباهظة لبناء محطات القوى وأشار الى أن فلاحى الروسيا غير مستعدين لها . ولاحظ لينين بصراحة أن تروتسكى ضد الخطة وانه يحاول أن يحرر نفسه من مسئولية فكرة كهربة البلاد (1) .

واقترح التروتسكيون الاعتماد أساسا على الآلات المستوردة

(1) لينين مجموعة اعمال ٢٠ صفحة ١١١ ها

لانشاء محطات القوى وأشاروا الى أن تطوير وانشاء محطات قوى في البلاد بدون الاعتماد على الاستيراد سيستمر على الاقل مئـة سنة بل أن بعضهم حاول بعناد أن يثبت انه فى هـذه الحـالة ستضطر الدولة لسحب عدد من الآلات من المصانع التى ستغلق نتيجة لهذا وكان هذا فى الواقع يعنى الاستسلام المغلف بجمل يسارية . وحاول ريكوف ومؤيدوه استبدال خطة الكهربة الرئيسية بالاستعاضة عن انشاء ٣٠ محطة قوى بانشاء عدد اكبر من المحطات المحلية الضعيفة مؤيدين قولهم بأن المستقبل للمحطات الصغيرة .

وكانت فكرة ريكوف فاشلة من البداية حيث أنها تقـوم على اساس وجود المزارع الصغيرة المستقلة والصناعات المتـأخرة ولا تأخذ فى اعتبارها التقدم الاقتصادى على الأسس الاشتراكيـة ولقد وافق المؤتمر الثامن على الخطة الا انه ومعه لينين لم يعترض على فكرة انشاء المحطات الصغيرة كتمهيد لانشاء محطات القوى

ولقد اقترح بعض ناقدى الخطة أن يقوم الراسماليون الأجانب بتصميم محطات القوى ولكن لينين عارض فكرة المشاركة فى مثل هذه الصناعة الهامة ونقد بعنف كل المعترضين على هـــذه الخطة فى مقاله « خطة اقتصادية متكاملة » وأوضح أن خطة كهـــربة روسيا الاتحادية هى العمل الجاد الوحيد (١) ، وأن كل محاولات الاقلال من اهميتها وكل الاقتراحات الأخرى مثـــل مقتـــرحات تروتسكى هى مجرد كلمات فارغة ورفض لاعتبار كل ماتم انجازه فى هذا الميدان وأشار لينين الى هذه الخطة بالتفصيل واقترح الا تناقش على وجه العموم بل عن طريق دراسة متكاملة ودقيقة لايضاح الأخطاء فى هذا العمل الكبير وطرق اصلاحها .

ولقد أوضح لينين ان الطريق لتخطى العقبات الاقتصـــادية ولتنفيذ خطة كهربة البلاد ولاعادة تخطيط الاقتصـــاد على أسس اشتراكية يكمن فى جذب جماهير العمال للاشتراك فى بنـــاء الحياة الجديدة .

ولا شك أن تنفيذ الخطوات الأولى فى خطة الكهربة كان صعبا جدا نظرا للنقص فى المعدات ومواد البنـاء والعمـــال المهـــرة والمهندسين والفنيين وطالب لينين بتوجيـــه كل الامكانيـــات والاحتياطى لتنفيذ الخطة وكان يلاحظ باهتمام كبير تطور تصميم وبناء محطات القوى وساعد بنفسه فى الامداد بالمعدات والمواد فى اقصر وقت ممكن .

وازدادت سرعة تنفيذ خطة الكهربة من عام الى آخـر وازيلت المحطات القديمة وحلت محلها محطات قوى حديثة

---

(١) لينين مجموعة اعمال ٤٢ صفحة ٣٣٩ .

وكتب الفلاحون الى لينين يعلنون ان الكهرباء ستصل الى قرية كوشينو فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٠ وطلبوا منه أن يحضر لمشاركتهم فرحهم بالضوء الكهربائى فى منازلهم الريفية واضافوا انهم لم يكونوا ليجرؤوا على الحلم بهذا فى ايام القيصر واكدوا أن حضوره سيسعدهم جداً .

وترك لينين اعماله واصطحب كرويسكيا وتوجه الى قرية كوشينو بالقرب من موسكو لكي يحضر افتتاح محطة قوى صغيرة وفى أثناء الاجتماع تكلم لينين عن الوضع الدولى وعن تطوير الاقتصاد القومى وعن اهمية الكهرباء .

وتكلم احد الفلاحين فقال ان السلطة السوفيتية أتاحت للفلاحين الفرصة للحصول على « الضوء غير الطبيعى » فى منازلهم وان هذا ولاشك سيضىء الظلمات التى يعيشون فيها ولقد رحب لينين بخطابه جدا وحيا هذا الحدث الجديد فى حياة الريف .

ولقد استعاد لينين ذكريات هذه الحادثة فى خلال مؤتمر مجالس السوفييت الثامن وقال ان هذه الكلمات لم تثر دهشتى فبالطبع يعتقد كثير من الفلاحين أن الضوء الكهربائى ضوء غير طبيعى ثم أضاف اننا يجب ان نتعجب لأن الفلاحين والعمال عاشوا مئات بل الوف السنين فى مثل هذه الظلمات وفى مثل هذا الفقر وتحت ضغط ونير الاقطاعيين والراسماليين (١) .

وزار لينين احد المنازل حيث استقبل بحفاوة بالغة وجلس مع مضيفيه وتناول معهم وجبة بسيطة واخبره الفلاحون كيف تم بناء المحطة كما قصوا له عن الصعوبات التى تغلبوا عليها . ولقد وجه اليهم العديد من الاسئلة واهتم بكل التفاصيل وأثار دهشتهم بعمق اسئلته وبوضوح آرائه .

وفى عامى ١٩١٨ و ١٩١٩ وبتشجيع من المؤسسات الشيوعية ومجالس سوفييت العمال والفلاحين تم بناء محطات قوى زراعية صغيرة فى العديد من القرى بجوار موسكو .

وفى اماكن اخرى وحد فلاحو عدد من القرى مجهودهم لبناء هذه المحطات وفى عام ١٩٢٠ بدأ فلاحو ٨ قرى فى مركز كوتياكوف بناء محطة قوى واستغرقت عملية الانشاء عاما كاملا ثم مدت المحطة القرى الثمان بالطاقة اللازمة .

الا أن كهربة الزراعة شقت طريقا متواضعا فى سنوات الحكم السوفيتي الأولى وفى عام ١٩٢١ تم اعداد وتجهيز وتشغيل ١٠٥ محطة قوى فى القرى والمدن الصغيرة ولكن هذا كان كافيا لكي يستنتج لينين أن أيام العمل الجسمانى فى روسيا السوفيتية

(١) لينين مجموعة اعمال ٤٢ – ١٦٠ ص

ايام المحراث الخشبي البدائي وأدوات الحصاد البدائية ستنقضي بدون رجعة وأن البلاد ستسير الى الأمام على طريق التقدم التكنولوجي .

لاشك أن الانتقال من حالة الحرب الى البناء السلمي كان محوطا بصعوبات جمة فان الاعداء الطبقيين كانوا مازالوا محتفظين بمواقع اقتصادية هامة حاولوا استغلالها لنسف السلطة السوفيتية .

وكانت المهام العاجلة التي واجهت الحزب هي توطيد دعائم الثورة وتطوير الاقتصاد القومي ووضعت سياسة اقتصادية جديدة للبناء فلقد كان من الضروري زيادة الانتاج الزراعي الذي لا يمكن للجيش أو للعمال أو الفلاحين البقاء بدونه .

وفي هذا الوضع الجديد اكتسب تحالف العمال والفلاحين أهمية جديدة ورأى الحزب أن تطوير وتقوية الاقتصاد القومي وبخاصة الزراعة بنجاح لن يتم بدون اجتذاب الفلاحين متوسطي الحال للاشتراك الفعلي في تقوية وتثبيت الاقتصاد القومي . وذكر لينين في كتيب « الضريبة القديمة » ان الهدف الان وحجر الزاوية هو رفع الانتاج .. والورقة الرابحة في مجال الزراعة هي الفلاح المتوسط . ولاجتذاب الفلاحين المتوسطين للاشتراك في بناء الاشتراكية كان من الضروري خلق ظروف الاهتمام المادي بالموضوع .

ولقد وجد لينين انه من الضروري في هذه الحالة تقوية الاتحاد الاقتصادي بين العمال والفلاحين بواسطة تنمية التجارة بين القرية والمدينة حيث ان هذا هو الطريق الوحيد لتطوير التبادل التجاري بين الصناعة والزراعة .

وفي اثناء فترة الانتقال من نظام الاستيلاء على المخزون الى نظام الضريبة النوعية تحدث لينين كثيرا مع وفود الفلاحين ودرس بعناية خطاباتهم وزار العديد من القرى وفي ديسمبر ١٩٢٠ اشترك في مؤتمر لمندوبي الفلاحين اللاحزبيين في المؤتمر الثامن لمجالس السوفييت واستمع الى مناقشاتهم عن اهم مشاكل حياة الفلاح وسجل خطب ٢٩ فلاحا لاينتمون الى الحزب .

وفي شتاء ١٩٢٠ ذهب لينين للصيد بالقرب من قرية مودينوفا بمركز فيريسكر في محافظة موسكو . وعندما علم الفلاحون به ارسلوا اليه رسولا بالمذكرة التالية : « لزعيم الثورة العالمية الرفيق لينين وباسم المواطنين في قرية مودينوفا نطلب منك

الحضور والحديث معنا » .
وتحدث معهم لينين فى منزل كوتشيتوفا ووجه الفلاحـون العديد من الأسئلة لفلاديمير اليتش .
وذكروا له حاجاتهم وطلبوا منه تخفيض نسبة الاستيلاء على القش واقترح عليهم لينين ارسال مندوب الى الكرملين للتحدث عن شئونهم وللاحاطة بمطالبهم وفى ٦ ينايـر ١٩٢١ اسـتقبل لينين الرسول وتحدث اليه .
وفى مساء ٩ يناير توجه لينين الى قرية جوركى وتحدث الى الفلاحين وهذا ما قاله أحدهم « دخل لينين الكوخ وبدأ الحديث مع الفلاحين وفى البداية وجهوا اليه عدة أسئلة حيوية وبطريقة مرحة وكرفاق وضحك فلاديمير اليتش مع الرجال وأمضـيا حوالى نصف ساعة فى الضحك استنفدنا فيه القصص والنوادر عن الفرق المكافحة ضد تجار السوق السوداء وعن تجار السوق السوداء واحاييلهم وكيف يتمكنون من حمل الدقيق والحبوب تحت معاطفهم وكيف ينتقلون على أسقف عربات السكك الحـديدية وتحتها وعن طريق الجياد للوصول الى موسكو وشارك لينين فى الضحك على هذه النوادر التى اعتبرها مادة مفيدة له ثم تـكلم بطريقة سهلة وسلسة عن السياسة الاقتصادية الجديدة وانصت الفلاحون باهتمام شديد ورأوا بوضوح أن هذا الانسان يفتح لهم آفاق حياه جديدة مضيئة » (١)
وتبعا لمعلومات غير كاملة قام لينين بزيارة مايربو على ٣٠ قرية فى منطقة موسكو وتحـدث مع الفلاحين ووجـه خطابات الى يارابوليت بولينور وغيرها من الأماكن .
ولقد تفهم لينين كل تفاصيل اقتصاديات الفلاحين وساعدهم بطرق عملية فمثلا كتب فى « ملاحظة لوزير التموين » قائلا : ان فلاحى ستافروبول « الذين قدموا الخبز للاطفال » اشتكوا لأن المحلات التعاونية لاتبيع الشحوم بل تبيعها فى المخازن والكبريت وغيره من البضـائع وهذه المحلات لم تبـع الرنجة بل تركتها تتلف وهم بالطبع غير راضين عن هذا ويقول قوميسار التموين المحلى سلموا لى أولا ما يجب عليكم أن تسلموه ثم سنعطيكم بعد هذا ، وهم يطالبون الآن هذا بالاضافة الى أن كمية ٢٧ مليون بود المطلوبة منهم كبيرة ولن تبقى حبـوب لديهم للبذرة وأنا أطلب التحقيق فى هذا وخاصة فى الجزء الأول على أن أبلغ برأيك قبل الغـد (٢) **رئيس مجلس قوميسـارى الشـعب لينـين**

قصص العمال عن لينين موسكو ١٩٣٤ صفحة ١٠٥ .

(٢) مجموعة أعمال لينين ٣٥ - ١٥٩ .

وفى ٢ فبراير ١٩٢١ استقبل لينين سوكولوف عضو لجنة سيبريا الثورية وناقش معه اوضاع فلاحى سيبريا بالتفصيل وبعد الحديث معه مباشرة ألقى نظرة أخرى على مشروع توصية مقدمة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الروسى بشأن موضوع السياسة الزراعية والتموين فى سيبريا .

ولقد وجد سوكولوف أنه من الضرورى استخدام سياسة جديدة بالنسبة لفلاحى سيبريا لتغيير الوضع الذى نشأ فى المنطقة بعد تنفيذ نظام الاستيلاء .

وكتب سوكولوف عن هذه المقابلة « كان لينين يستمع الى ويسجل ملاحظاته واستمع الى باهتمام وهدوء وكان يعلق بقوله هه ـ حسن .. حسن ووجه الى بعض الأسئلة الهامة » .

وبعد ان شرح له سوكولوف مقترحاته بشأن تغيير نظام الاستيلاء قال لينين : « وهل تعتقد حقيقة أنه من الممكن للمرء أن يحدد نفسه بسيبيريا ؟ » .

وأجاب سوكولوف قائلا : « لا فسيبيريا هى البداية لتجربة النظام الجديد .»

فسأل لينين هل تعتقد اذا ما تم اعلان التغيير فى وقت ملائم انهم سيبذرون أكثر . فكانت الاجابة بالطبع فحاستهم الاقتصادية سترغمهم على هذا .

وفى اليوم التالى نوقشت مقترحات سوكولوف مع مستشارى وزارة الزراعة .

وقبل أن يغادر سوكولوف موسكو قابل واحدا من الفلاحين السيبيريين وهو تشيرنوف الذى حدثه عن مقابلته مع لينين ، بل وأطلع سوكولوف على جريدة بيدنوتا التى نشرت صورته بهذه المناسبة .

وكان تشيرنوف يعيش فى مقاطعة اركوتسك وبعد تنفيذنظام الاستيلاء وجد أن هذا النظام غير مقبول فى ظروف سيبريا وكان متفقا فى الراى مع احد العمال « ابراموف » الذى كان يعمل مديرا لمنجم الفحم واصطحبه ابراموف الى مؤتمر الحزب فى المركز حيث قدم تقريرا عن هذا الموضوع ذكر فيه أنه فى ظروف سيسبيريا من اللائم أن تؤخذ من الفلاح ضريبة أو كما كان يسميها « نسبة تخفيض »

وفى نهاية العام طلب تشيرنوف من أبراموف أن يساعده فى الذهاب الى موسكو .

وهناك وجد نفسه فى مواجهة لينين وفى غرفة مكتبه وهذا هو ما قاله تشيرنوف عن هذه المقابلة :

« قام لينين ليستقبلنى كما لو كنت زائرا هاما وحيانى كصديق له ثم سألنى هل لديك جديد من سيبزيا فأجبته لقد كتبت أفكارى على ورقة فأرجو أن تسمح لى بقراءتها فأجاب حسن اجلس هات ما عندك .

وعندما انتهى تشيرنوف من القراءة سأله لينين هل توافق على نشر خطابك فى جريدة البرافدا ؟

ووافق تشيرنوف وبالفعل نشرت البرافدا والبدنوتا رسالته .

ولقد تأثر تشيرنوف جدا بزيارته للينين وكتب فيما بعد « ان عظمة لينين فى أنه لم يستمع لى بل استمع من خلالى الى كل الفلاحين وتمكن من أن يرى ويدرك كل التعقيدات فى الموقف هناك وحقق رغبة الجماهير ولا شك أنه روح الجماهير ... »

وكتب الصحفى الامريكى التقدمى البرت ريسى ويليامز الذى شاهد لينين يتحدث عدة مرات :

« ومرت نصف ساعة ثم ساعة ونصف ونحن جالسون فى الانتظار بينما انبعث من المكتب الداخلى صوت الزائر يتحدث اليه وتعجبنا من هو هذا الزائر الذى حصل على هذا الشرف الكبير وامضى تلك الفترة الكبيرة مع لينين واخيرا فتح الباب ولشدة دهشتنا لم يكن هذا الزائر ضابطا أو دبلوماسيا أو أى موظف من كبار الموظفين بل كان رجلا عاديا يرتدى معطفا مصنوعا من فرو الخراف ويرتدى حذاء طويلا اى أنه كان مجرد فلاح فقير عادى تماما ممن يمكن مقابلة الملايين منهم فى كل أنحاء الأراضى السوفيتية .

وعندما دخلنا الى مكتبه ذكر لنا انه فلاح من تمبوف ولقد أردت أن أستمع لأفكاره عن الكهرباء والتعاونيات ونيب NEB ولقد كان ممتعا حتى اننى نسيت مرور الوقت » .

وكتب كارنبسكى « عندما كنت رئيسا لتحرير جريدة بيدنوتا كنت معتادا على مقابلة لينين لأطلعه على خطابات الفلاحين وكان يعلق على هذا بقوله انها وثائق بشرية ممتازة بل لا يمكن أن تجد مثلها فى أية تقرير وكان يستمع بعناية تامة الى أخبار واحوال الحياة فى الريف والمتاعب التى يلاقيها الفلاحون .

وكان يبدأ حديثه قائلا « حسن الى ماذا يشير بارومتر الفلاحين » وكان لينين يسمى جريدة البدنوتا بارومتر الفلاحين .

وانا أذكر تماما حديثى معه فى شتاء ١٩٢٠ فى ذلك الوقت العصيب قرب نهاية الحرب الاهلية عندما ارتفع ضحايا الشعب العامل الى أقصى مستوى وهبط مستوى الزراعة واستولى القلق

وعدم الرضا على جماهير الفلاحين حتى أن الشكوك بدات تساور أكثر الفلاحين صلابة وازدادت الخطابات الواردة للجريدة من الريف مليئة بالشكوى والتذمر ولفتح صمام الأمان نشرت الجريدة واحدا من أعنف الخطابات هجوما على السلطة السوفيتية وهنا انهالت الخطابات مدافعة عن السلطة السوفيتية وبدأت مناقشة حامية على صفحات الجريدة .

وذهبت للحديث مع لينين واستغرق الحديث مدة طويلة ولقد وجه الى لينين سيلا من الأسئلة عن كل التفاصيل .

وانتهت المناقشة بطلب من لينين أن اقدم له تقريرا مكتوبا معضدا بأجزاء من خطابات الفلاحين ولقد اخترت أكثر من ٥٠ خطابا عن موضوع الاستيلاء على المخزون وعن المشاكل التى يواجهها الفلاحون ودرست هذه الخطابات وضمنت تقريرى فحواها وبعد وقت قليل اقتنعت أن تلخيصى لخطابات الفلاحين تم هباء .

فعندما استمعت لتقريره المقدم لمؤتمر الحزب العاشر بشأن استبدال نظام الاستيلاء بنظام الضريبة النوعية شعرت أن لينين قد استخدم خطابات الفلاحين كمواد لبعض أجزاء خطابه . وبعد هذه الحادثة طلب لينين من محررى جريدة البيدنوتا أن يرسلوا اليه تقريرا دوريا عن خطابات الفلاحين .

وبعد أن جمع لينين المعلومات عن حياة الفلاحين من حديثه معهم ومع رجال الحزب والعاملين السوفييت ومن خطاباتهم لجرائد البرافدا والأزفستيا والبيدنوتا ومن المصادر الأخرى كتب مسودة لرسالة عن الفلاحين :

١ ـ ارضاء رغبة الفلاحين اللاحزبيين باستبدال نظام الاستيلاء (مصادرة المخزون من القمح) بضريبة نوعية .

٢ ـ انقاص حجم هذه الضريبة بالنسبة للكميات التى تم الاستيلاء عليها في السنوات الماضية .

٣ ـ الموافقة على مبدأ توافق الضريبة مع مجهود الفلاح لكى تصبح أقل بالنسبة لهؤلاء الذين يبذلون مجهودا أكبر .

٤ ـ اعطاء الفلاح حرية أكبر في التصرف فى الكميات الباقية لديه بعد أداء الضريبة النوعية للتصرف فيها عن طريق التجارة المحلية .. (١)

ولقد أصبحت هذه الرسالة أساسا لتوصية مؤتمر الحزب العاشر بشأن استبدال نظام الاستيلاء بضريبة نوعية .

وهكذا تم حل مشكلة الغاء نظام الاستيلاء نهائيا واستمر لينين

(١) لينين ٤٢ ـ ٢٣٣ .

فى مقابلة العديد من وفـود الفلاحين والعاملين بالحـكومة والحزب ومناقشتهم لمتابعـة وتجديد استنتاجاته مرة أخرى

ولقد كان كان يود أن يكون زواره من الفلاحين أول الحاملين لنبأ الغاء نظام الاستيلاء واحلال الضريبة النوعية مكانه لكى يقوموا بالدعاية لهذا التغيير .

وفى ١ مارس تلقى رئيس لجنة منطقة أوفا التنفيذية برقية بتوقيع لينين وقوميسار التموين لكى يطلب الى شابوشنيكوف وكوندروف الفلاحين فى قرية بيكيتوفو التابعة لمركز بولجاكوف التوجه الى موسكو لمناقشة بعض مواضيع الاقتصاد الريفى .

وبعد عدة أيام أخطر لينين تلفرافيا « اجابة على برقيتكم . وحل الفلاحان كوندروف وشابوشنيكوف من قـرية بيكيتوفو الى موسكو يوم ١٠ مارس » .

وعند وصولهما الى موسكو قابلهما لينين وحضرا اجتماعات (ARCEC) التى ووفق فيها على استبدال نظام الاسـتيلاء على فائض المحصول بضريبة نوعية .

وقبل مغادرتهم لموسكو حصلوا على شهادات من لينين ذكر فيها :

« هذه الشهادة معطاه للفلاح شابوشـنيكوف من قـرية بيكيتـوفو مركز بولجـاكوف منطقـة أوفا لـكى تؤيد أننى قـد استدعيته لموسكو للمناقشة فى موضوع هام يتعلق بالاقتصـاد الريفى

ومن شرحه للموقف ومن اجاباته يتضح أنه على وعى سياسى واجتماعى ووجهة نظره سليمة . وعلى كل السلطات السوفيتية فى روسيا الاتحادية أن تساعد المواطن شابوشنيكوف للعـودة الى مقر سكنه والى عمله السامى » .

رئيس مجلس قوميسارى الشعب
لينين

ولقد قام كلا الفلاحين بعد عودتهما الى أوفا بشرح تفاصيل رحلتهما الى موسكو فى مؤتمر للمنطقة اشترك فيه الفلاحـون غير الحزبيين واستمعوا باهتمام كبير الى ماذكره شابوشنيكوف وكونوروف وصفقوا لهما طويلا .

وفى ٧ مارس وفى أثناء اجتماع اللجنة المركزية للحـزب الشيوعى الروسى (البولشفى) ، انتخبت لجنـة برئاسة لينين لاعداد مسودة قرار بالغاء نظام الاستيلاء على فائض المحصـول على أن تحل محله نظام الضريبة النوعية و فى ١٥ مارس ١٩٢١ وافق المؤتمر العاشر للحـزب على مشروع القـرار بدون أية

تعديلات ولقد كان استبدال نظام الاستيلاء بالضريبة النوعية يعنى بداية سياسة اقتصادية جديدة .

ولقد كان موضوع استبدال نظام الاستيلاء على فائض المحصول بضريبة نوعية مسألة سياسية أولا وقبل كل شيء ويقول لينين « ان لب هذه السياسة هو التحالف بين البروليتاريا والفلاحين والتحام مقدمة البروليتاريا بجماهير الفلاحين الواسعة . » (١)

ولقد توقع لينين أن بداية التجارة الحرة ربما ستتسبب فى تقوية الرأسمالية فى البلاد الى حد ما الا أنه أوضح أنه من السهل التغلب على هذا الخطر نظرا لأن السلطة السوفيتية تمسك فى ايديها بكل مناهج الاقتصاد القومى (الأرض ، المصانع ، البنوك السكك الحديدية التجارة الخارجية الأسطول وغير ذلك) .

ولقد وجد لينين أن حرية التعامل ستحسن اقتصاديات الريف وسترفع من انتاجية الفلاحين وعليه سيمكن تطوير الصناعة الحكومية فى فترة أقل مما يسهل عملية التغلب على رأس المال الخاص وطرده من البلاد .

وفى ٢٨ مارس ١٩٢١ أصدر مجلس قوميسارى الشعب قرارا استبدل بمقتضاه نظام الاستيلاء على فائض المحصول بالضريبة النوعية .

ولقد أدت السياسة الاقتصادية الجديدة الى زيادة التحالف الاقتصادى والسياسى بين الطبقة العاملة والفلاحين قوة على طريق بناء الاشتراكية .

نهضة اقتصادية

ومع نمو الانتاج الزراعى تحسن الامداد الغذائى للمدن وازدادت التجارة مع الدول الأجنبية ، ففى سنة ١٩٢٣ صدرت الجمهورية السوفيتية ٤٠ مليون بود (البود ١٦ر٣٢ كجم) من الحبوب وفى سنة ١٩٢٤ صدرت ٢٤٠ مليون بود .

وتم بسرعة ترميم وتطوير الصناعة الحكومية مما ضاعف من انتاجها سنة ١٩٢٣ بالنسبة لانتاج سنة ١٩٢١ .

وكان الانتقال من سياسة شيوعية الحرب الى السياسة الاقتصادية الجديدة سببا فى ظهور نهضة اقتصادية بطيئة ولكن وطيدة .

وقد مكن كل ذلك لينين من أن يعلن فى المؤتمر الحادى عشر للحزب فى مارس سنة ١٩٢٢ : « اننا ظللنا نتقهقر لمدة عام كامل،

---

(١) لينين مجموعة اعمال ٤٤ – ٣٢٢ .

وباسم الحزب يجب أن نتوقف الآن . فلقد تحقق الفرض المرجو من التقهقر . ولقد قاربت تلك الفترة على النهاية أو كادت . فعندنا الآن هدف مختلف الا وهو اعادة تجميع القوى » (١) . وقد قرر لينين اعادة تجميع القوى وذلك للاستعداد للهجوم على راس المال الخاص .

وفعلا اظهرت النتائج الأولى للسياسة الاقتصادية الجديدة أن سياسة الحزب الشيوعي وطدت بناء الاشتراكية على أساس التلاحم بين الطبقة العاملة والفلاحين . وقد قال لينين فى المؤتمر انه لنصرة الاشتراكية كان من الضرورى تدعيم التلاحم بين الصناعة الاشتراكية والاقتصاد الزراعى . وكان يعتقد بأنه يجب أن نبدأ على هذا النمط حتى نتطور ببطء ولكن بطريقة تمكن الجماهير من التطور فى وقت واحد وعلى هذا سوف نصل الى تطور كبير فى السرعة لايمكن حتى أن نحلم به .

وفى ذلك الوقت اقترح لينين مهمتين : تأكيد اعادة تجميع القوى حتى يمكن للطريق الاشتراكى فى الصناعة أن ينتصر على كل القطاعات الاقتصادية الاخرى وعلى الأصح تقرير لحظة الانطلاق للضربة القاضية ضد العناصر الراسمالية ، وخاصة ضد غالبية طبقة الاستغلاليين ، وهم الاقطاعيون (الكولاك) .

ولتحليل الموقف فى الريف فى السنوات الأولى من الحكم السوفيتى يمكننا أن نقول :

من أكتوبر ١٩١٧ حتى ١٩١٩ كانت هناك زيادة فى عدد الفلاحين متوسطى الحال وحتى عام ١٩٢٢ وكنتيجة للحرب والجوع وتلف الاقتصاد ازداد الفقر فى الريف مما انعكس مباشرة على حالة الفلاحين الاقتصادية فأصبح من الصعب التفريق بينهم وأخيرا بعد بدء السياسة الاقتصادية الجديدة عادت الحياة الاقتصادية ثانية .

وفى الفترة من ١٩٢١ الى ١٩٢٥ تضاعف عدد الفلاحين متوسطى الحال والأحسن حالا بينما تناقص عدد المعدمين ٥ر٣ مرة وكتب لينين قائلا « لا يجب أن نغمض اعيننا للحقيقة وهى أن استبدال نظام الاستيلاء على فائض المحصول بنظام الضريبة النوعية سيعنى ولادة عدد جديد من الملاك (الكولاك) بل انهم سيبرزون هناك حيث لم يكونوا من قبل »

وعلى اساس هذه المهام الجديدة ناقش مؤتمر الحزب الثانى عشر السياسة الزراعية المستقبلة واوضح ضرورة انشاء نظام

(١) ف.أ. لينين ، مجموعة أعمال ، جزء ٤٥ ، ص ٨٧ .

تعاوني يمكن للفلاحين الصغار قبوله على أن توضع بمصلحة فقراء الفلاحين والتعاونيات والمزارع الجماعية في المرتبة الأولى .. ولزيادة حجم التجارة في البلاد ولتحسين وضع الجماهير العاملة اقترح الغاء كل الضرائب النوعية المحلية والحكومية المباشرة التى يدفعها الفلاحون وتوحيدها في ضريبة زراعية موحدة يسمح للفلاحين بدفع جزء منها نقدا .

ولتحديد نشاط العوامل الراسمالية في القرية قرر المؤتمر القاء الحمل الضريبى الأساسي على ملاك الأراضى (الكولاك) لكى يمكن اعفاء المعدمين من الضرائب .

وهاجم المؤتمر التروتسكيين الذين حاولوا فرض سياسة امتصاص اقتصاد الريف لاستخدامه فى تنمية الصناعة .

ووضع المؤتمر أمام المنظمات الحزبية مهمة تنظيم المزارع الجماعية والكفاح ضد الكولاك .

اتحاد من جمهوريات متساوية الحقوق

أوضح لينين ان روسيا الوسطى لايمكن أن تقوم لها قائمة بدون مساعدة من مناطق الحدود الغنية في الموارد الطبيعية والمواد الخام . كما أن هذه المناطق لاتستطيع الوقوف فى وجه الامبريالية بدون الدعم السياسي والمسلح الثورى من روسيا الوسطى .

وأقنعت فكرة لينين هذه عقول كل العمال من مختلفالقوميات

وفى نهاية عام ١٩١٨ اقتنعت أوكرانيا وتلتها روسيا البيضاء بضرورة قيام اتحاد قوى بينهما وروسيا الوسطى . وفى الاول من

بضرورة قيام اتحاد قوى بينهما وروسيا الوسطى . وفى
الأول من يونيو ١٩١٩ وافقت وعملت على تجميع كل بالداخل . وتمت الموافقة بين اللجنة المركزية . (ARCEC) واللجان التنفيذية المركزية فى الجمهورية السوفيتية على قيادة مسلحة واحدة وتوحيد الادارة وخدمات النقل والبوستة والاتصالات البرقية .

وساعد لينين الامم المتخلفة على التقدم وتحسين اقتصادياتها ومحاصيلها القومية وحضرت وفود من كلالقوميات لمشاهدة لينين فى مكتبه بالكرملين . وبين لينين أن السياسة القومية لابد أن تحدد لها اسس جديدة . وفى الرابع عشر من ابريل سنة ١٩٢١ وتحت عنوان « الى الشيوعيين الرفاق فى أذربيجان وجورجيا وأرمينياوداغستان والجمهورية المسلمة » كتبلينين « ان تلاحمهم يقدم صورة ممتازة للامن القومى ولم يكن ممكنا تحت قيادة

البورجوازيين ومن المستحيل أن يتم فى النظام الاستعماري » (١).
ونبه لينين الى ضرورة تنمية القوى الانتاجية للمحاصيل الزراعية في مناطق الحدود .

واسترشادا بتعاليمه كانت خطة اللجنة الفيدرالية لحل المشاكل الزراعية هى « من أجل الانتقال الى سياسة اقتصادية جديدة ولضرورة العمل على تنمية وزيادة الانتاج الزراعى فى مناطق الحدود من روسيا الفيدرالية ، لابد من تجميع مساحات زراعية كبيرة تسترشد بخطة رئيسية لتنمية القرى الانتاجية الزراعية في السنوات الاولى من حكم السوفيت عنى لينين بشئون الرى وخاصة فى برارى الاسبتس والمناطق القريبة من الفولجا ، وترانسلوكاسيا وآسيا الوسطى وحدد مقاييس خاصة لتوزيع الارض والرى وتنمية زراعة القطن .

فى ١٩١٧ ، وبينما كانت الجمهورية السوفيتية الناشئة تقاوم الهجوم الضارى من المعتدين . والثورة الداخلية المضادة اهتم لينين بخلق وتنظيم أعمال الرى فى تركستان وتكلفت المشاريع ما يقرب من ٥٠ مليون روبل .

فى سنة ١٩٢٠ وضع مجلس قوميسيرى الشعب الاسس للنهوض بزراعة القطن فى جمهوريتى تركستان وأذربيجان . وقد اعتمدت هذه الخطة أساسا على الرى .

وكتب لينين الى شيوعيى ترانسكاكاسيا فى ١٩٢١ « الرى .. له أهمية خاصة كوسيلة لزيادة الانتاج الزراعى والحيوانات الماشية الخادمة للفلاح .. ويجب عليكم تهيئة الظروف المناسبة والبدء فى تنفيذ مشاريع الكهرباء والرى . ما الذى نحتاجه أكثر ضرورة من الرى ، انه على الأقل سيحيى مساحات شاسعة ويزيد من قدرتها على النمو ، ولندفن الماضى ولنبدأ العمل للانتقال الى مجتمع اشتراكى أكثر استقرارا (٢) .

في خلال حديث جرى سنة ١٩٢٢ مع بوجدانيف المسئول عن أعمال الرى فى ترانسكاكاسيا حاول لينين ايجاد أحسن الطرق للبدء فى زيادة الارض المزروعة فى هضبة موجانسكى بين نهرى كورا وآركى .

ولقد أصبحت هضبة موجانسكى أخيرا مثل كل المناطق الاخرى فى تراتسكاكاسيا أكبر منتج للقطن .

---

(١) مجموعة اعمال لينين جزء ٤٣ صفحة ١٩٨ .

(٢) مجموعة الاعمال : لينين جزء ٤٣ ص ١٩٢ - ٢٠٠ .

وجه لينين عنايته للسياسة القومية .. واكد ضرورة استمرار الصداقات القوية والتعاون الوثيق بين النـاس وأثار موضـوع توحيد الجمهوريات السوفيتية فى دولة اشتراكية واحدة ، ورأى أن هذا ضرورة للحفاظ على ما تحقق من تقدم أقتصادى وزراعى

وفى ديسمبر ١٩٢٢ اجتمعت مجـالس السوفيت لجمهوريات RSFSE وأوكرانيا واذربيجان وجورجيا وروسيا البيضاء.

وأوضح المجتمعون المهمة التحريرية الكبرى للشعب الروسى الذى سـاعد على تحرير أوكرانيـا والقوقاز وروسيا البيضاء من نير الاستعمار . كما أكد المجتمعون رغبتهم فى أن يكون مع الأخ الأكبر ـ الشعب الروسى العظيم الدولة السوفيتية الواحـدة التى هى حلم جميع الشعوب فى كل الجمهوريات .

وأيد الحزب الشيوعى الاتجاه للوحدة وعمل على خلق اتحـاد واحد للجمهوريات السوفيتية التى ستسـاعد فى بناء الاشتراكية والشيوعية وخلق قوة مؤثرة وتنظيم دفاع قوى يعتمد عليه ضد التدخل والعدوان سواء من الثورة المضادة أو الامبريالية العالمية.

فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٢ كان أول اجتماع بين ممثلى مجالس السوفيت لأربع جمهوريات ، روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضـاء وترانسكاكاسيا الاتحادية كممثلين لدولة واحـدة وهى ـ اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكيـة . وبتكوين هـذا الاتحاد بدأ عهد جديد لتقدم الامة .

أكد لينين على أهمية خبرة الحزب البولشفى وسلطة السوفيت فى حل مشـاكل الامة والضغط بالقوة لتجميع كل الشعب حول البروليتاريا .

وكتب لينين ان أكثر من ٧٠٠مليون ـ من ١٠٠٠مليون يعيشون فى المستعمرات والبـلاد غير المستقلة ـ يعيشون فى (الصين والهند وايران ومصر) بلادهم كعمال . وأوضح لينين ان الطبقة العاملة هى التى ستقوم بالدور الرئيسى فى الكفاح من أجل التخلص من الاستعمار .

ويرى لينين أن الشرط الرئيسى لنجاح حركات التحرر الوطنية هو اشتراك جماهير الفـلاحين التى تشكل غالبية سـكان هذه البلاد فى هذه الحركات .

أوضح لينين ضرورة دعم ومسـاعدة الحركات الفلاحية فى البلاد المتخلفة ضد ملاك الارض والاقطاعيين وضرورة أن تصبح هـذه الحركات الفلاحية حركات ثورية تساعد على امكانية تكوين اتحاد بين شيوعيى أوربا الغربية والبروليتاريا والحركات الثورية التقدمية للفلاحين فى الشرق فى المستعمرات والبلاد المتخلفة عموما .

وترسم لينين طريق كفاح الشيوعيين فى المستعمرات والبلاد غير المستقلة ضد الامبريالية والاقطاع .. فأوضح انه يجب عليهم أن يؤيدوا البورجوازيين الديمقراطيين ويتحدوا معهم وفى نفس الوقت يعملون على استمرار حرية الحركة للبروليتاريا على أمل أن تتحول البورجوازية الصغيرة الى الاشتراكية بعد صراع طبقى ومحاولة طبع الحركات التحررية البورجوازية الديمقراطية بالطابع الشيوعى وتجميع الجماهير تحت شعارات الشيوعية العلمية.

وأوصى لينين أن تترجم الحركة الشيوعية الى لغة سهلة واضحة لكل الناس وخاصة فى البلاد المتخلفة حتى تصبح هذه الجماهير هى الدعامة القوية لثورة البروليتاريا فى الدول الاخرى .

وفى « ملاحظات على تقرير أ. سلطان ـ زاد فى الثورة الاشتراكية فى الشرق » المقدم فى المؤتمر الثانى للكومنترن حدد لينين مواقف الدول فى الشرق كالآتى :

١ ـ سقوط الطبقات المستغلة .

٢ ـ معظم السكان فلاحون ، يعانون من الاستغلال .

٣ ـ فى الصناعة .. حرفيون صغار .

٤ ـ ختاما .. من الضرورى محاولة ايجاد اجابات محددة حول واجبات التنظيمات السوفيتية والحزب الشيوعى لرفع مستوى الفلاحين فى دول الشرق المستعمرة .

وفى حديثه عن ضرورة اعتبار التنظيمات السوفيتية لأحوال الدول الشرقية لم يكن السوفيت فى الاتحاد السوفيتى . بل باعتبارهم القوة المؤثرة التى يجب ان تكون هى المحررة لهذه البلاد من الاستعماريين واقامة علاقات بينها وبين السوفيت كعمال (وذلك بعد طرد الأمبرياليين وتثبيت حكم الشعب) ولاشك أن استنتاج لينين الصادق ذو أهمية تاريخية فائقة اذ أنه بعد التحرر التام من الامبريالية وقيام حكم الشعب فى الدول التى كانت مستعمرة ومستغلة بواسطة الاقطاعيين تستطيع هذه الدول بمساعدة البروليتاريا المنتصرة فى الدول المتقدمة أن تتحول من مرحلة الاقطاع تدريجيا الى المرحلة الاشتراكية .

وعبر لينين عن نفس هذه الافكار فى حديثه الى وفد من جمهورية منغوليا الشعبية .

وحدد لينين أسس التعاون التام الكامل بين الدولة السوفيتية والدول الشرقية . وفضح السياسة التوسعية التى تمارسها انجلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والولايات المتحدة الامريكية واليابان ضد شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وشرح فى منتهى الصراحة ان ثورة أكتوبر تعنى نهاية الحرب القاتلة ونهاية

النظام الامبريالى العالمى وأوضح أن عالما جديدا قد ولد بعد ثورة أكتوبر .. عالم الشعب العامل الحر .

وأرست الحكومة السوفيتية برئاسة لينين قواعد التعاون والصداقة بينها وبين الشعوب فى الشرق . « هذا حق » وهكذا علق لينين على هامش خطاب من ج. ف. شيشيرن موضحا الفكرة التالية :

« الجديد فى نظامنا العالمى يجب أن يؤكد أن للسود وكذلك لكل شعوب المستعمرات كل الحق فى أن يأخذوا نصيبهم ومكانهم فى المؤتمرات واللجان وأن لايسمح لاحد أن يتدخل فى شئون حياتهم الداخلية » .

واهتم لينين بنشاطات الاحزاب الشيوعية فى المستعمرات والبلاد غير المستغلة فى الشرق وقدم مقترحات فعالة مفيدة للحركات التحررية العالمية أمام مؤتمرات الكومنترن والبروفينترن والشعبية الشيوعية العالمية .

وكتب هوشى منه « ان كل وفود المستعمرات الحاضرة فى المؤتمرات لن تنسى أبدا توجيهات .. القائد والمعلم لينين وكيف أنه كان قادرا على فهم كل ما هو معقد وحدد بوضوح طريق العمل وعندئذ سيصبح عند كل منا الوقت الكافى ليقنع نفسه اقناعا كافيا بصحة رأيه وكيف يضع تعليماته القيمة موضع التنفيذ » .

وتمكن لينين بقدرته من شرح مسألة حركة التحرير الوطنية وكسب رأى جماهير الدول المتخلفة .

وشغلت ثورة الصين معظم اهتمامات لينين . وشعر أنه من الضرورى الدعم القوى والاكيد للحكومة الثورية بقيادة صن ـ يات ـ صن في كانتون . ووجه اهتماما خاصا ايضا لحركة التحرير الجماهيرية فى الهند ومن أجل دعم حركة التحرير الهندية وجه نداءا الى الجماهير العاملة في كل دول الشرق لتوحيد نضالها ضد المضطهدين وكتب فى غير رضا عن سياسة الاستعمار التى تؤدى الى اذلال الامم واضطهادها بطريقة غير انسانية كما يحدث فى أفريقيا بواسطة الدول الامبريالية المانيا وبريطانيا وفرنسا وخاصة عن الاستعمار البلجيكى للكونغو الذى تعداده ١٥ مليون نسمة ولها ايضا مستعمرات أخرى .

وكانت يقظة افريقيا تمثل اهمية كبرى فى افكار لينين واوضح أنه لابد لشعوب أفريقيا ان تحس بآدميتها وانها ليست عبيدا واعتبر من الضرورى الحصول على معلومات وافية عن حركات

التحرير الوطنية فى هذا الجزء من العالم (١) .

وفى الايام الاولى بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظيمة .. وضعت الحكومة السوفيتية برئاسة لينين سياسة الصداقة وتحقيق التعاون بين شعوب الشرق فى الدول المستقلة ومساعدتهم للحفاظ على استقلالهم . وأيد نضال أفغانستان والعراق وتركيا ضد الامبريالية وأقام معاهدات الصداقة والسلام معهم فى سنة ١٩٢١ .

واعتقد لينين أن الدولة السوفيتية من واجبها ليس فقط تأييد حركات التحرير الوطنية فى الشرق ولكن يجب عليها مساعدة الدول الصغرى فى تنمية اقتصادياتها وحفظ استقلالها .

ودعا لينين الدول الوطنية الصغرى فى الشرق وشعوب المستعمرات والدول غير المستقلة أن تتخذ طريق الاشتراكية وتتجاوب أكثر مع جمهوريات الاتحاد السوفيتى وتؤيدها . وكتب أنه لا أحد يمكنه تجاهل ضرورة التحالف القوى بين جماهير العمال فى مختلف الامم ولابد من وضع الخطة حتى تتحالف مع روسيا السوفيتية كل حركات التحرير الوطنية وحركات تحرير المستعمرات . وتتوقف قوة هذا التحالف على درجة تقدم وقوة البروليتاريا فى كل دولة أو حركة التحرير الديمقراطية البورجوازية من العمال والفلاحين فى كل المدن الرجعية والأمم المتخلفة .

وأوضح لينين أن الشىء الرئيسى هو خلق وتقوية طليعة ثورية عالمية فى طبقة العمال وحركة تحرير وطنية للوقوف ضد الاعداء الامبرياليين .

وفى مقابلة مؤثرة أثناء مؤتمر الحزب الشيوعى الروسى فى موسكو فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ قال لينين :

« اننا الآن نلتقى ليس فقط بوفود البروليتاريا من كل الدول ولكن مع وفود من كل الشعوب المضطهدة كذلك » (١) .

وستنتصر الاشتراكية ويعم النظام الاشتراكى فى أجزاء كثيرة من العالم التى فيها حركة العمال الثورية وحركة الجماهير فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تناضل من أجل الاستقلال أو التى بدأ استقلالها حديثا . ويثبت الزمن صحة هذه الآراء . فأخيرا آمن الرجعيون فى روسيا بالاشتراكية بعد ماعانوا من النظام الاقطاعى .

والخبرة والبناء العملى للاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى

---

(١) مجموعة اعمال لينين جزء ٤١ – صفحة ١٦٣ – ١٦٤ .

(٢) مجموعة اعمال لينين جـ ٤٢ – ص ٧١ – ٧٢ .

والدول الاخرى تؤيد نظرية لينين القائلة بأن تحالف طبقة الكادحين فى دولهم والدول المتقدمة يساعد جماهير الفلاحين فى المستعمرات والبلاد الغير مستقلة أن يحرروا أنفسهم من أىاضطهاد واستغلال والوصول للاشتراكية بعد مرحلة احتضار الاقطاع .

كل ما هو ضرورى لبنـاء الاشتراكية

كان لنهاية الحرب الاهلية وللانتقال الى سياسة اقتصادية جديدة أثر كبير فى تغيير النظام التعاونى فاتسع النظام التعاونى وازداد تعقيدا .

ولقد أوضح لينين أن دولة معظم سكانها من صغار الفلاحين مثل روسيا ذات اقتصاد ريفى صغير لايمكن نقلها الى الاشتراكية الا عن طريق التعاونيات (بين المستهلك والمنتج) .

ولقد أشار الى ضرورة التقريب بين الزراعة والصناعة عن طريق التعاون بحث يكونان نظاما واحدا يؤكد قوة وامتياز الانتاج الاشتراكى على مستوى اقتصاد الامة .

كما أن اهتماما كبيرا قد وجه لمراعاة مبدأ المنفعة الماديةللفلاحين فى تطوير الانتاج الجماعى وربطه بالمصالح الفردية وبالمصلحة العامة للدولة . ولقد طالب لينين دراسة عميقة وتعميم لخبرات الجماهير مع اختبارها وتطبيقها ببراعة وكتب « لم يحدث أبداان توقع اى اشتراكى عاقل اننا سنستطيع مباشرة ارساء قواعد مجتمع جديد على أسس محددة من قبل ودفعة واحدة » (١) .

ومن أجل تطويرالنظام الجماعى وجد حل مقبول يمثل احد اشكال الزراعة الجماعية وهو فريق الزراعة وقبل أن يحتل هذا الشكل مكانه فى اقتصاد المجتمع اختبر على الطبيعة .

وكما ذكرنا من قبل كانت الزراعات التعاونية منتشرة جدا فى المرحلة الاولى ولقد لعبت هذه المزارع دورا هاما وجادا فى ظروف الهبوط الاقتصادى والحرب الاهلية ولكن مع حلول السلام والانتقال الى اقتصاديات السلم ظهرت نقط الضعف فيها .

ولقد كرر لينين الاشارة الى وجود هذه التعاونيات الاستهلاكية والى الرومانسية التى تعوق زيادة الانتاج وتطويرالزراعةالتعاونية وفى نهاية عام ١٩٢١ كان عدد فرق الزراعة قد بلغ ١٢٫٥٢٩ من ١٥٫٥٦٩ تمثل كل أنواع الزراعات التعاونية اى أن هـذه الفرق كانت تمثل ٤/٣ التعاونيات كلها .

وخلال الفترة الاولى من المرحلة الاقتصادية الجديدة صادف تكوين المزارع الحكومية صعوبات جمة حيث أنها انشئت اساسا مكان الاقطاعيات السابقة التى كانت قد دمرت الى حد كبير اثناء

(١) لينين ٣٦ — ٣٧٩ .

الحرب الاهلية كما لم تكن هذه المزارع مزودة بالادوات والوسائل الاساسية لتطوير نشاطها الاقتصادي . ولم تكن الدولة في تلك الاعوام قادرة على منح المزارع المساعدة المادية الكافية .

وعلى أساس هذه الصعاب اقترح التروتسكيون والمنشفيك والثوار الاشتراكيون وغيرهم من المزارعين الغاء المزارع الحكومية لعدم جدواها وفي عديد من المناطق كان العاملون في ادارات الاراضي يعانون من نفس الافكار .

ولكن الحزب والحكومة اتخذت العديد من الاجراءات لتنظيم وتعضيد المزارع الحكومية الموجودة آنذاك ولانشاء مزارع حكومية جديدة وكان المنظم لكل هذه العمليات هو لينين .

واستمر الحزب على نهج لينين فمنحت المزارع الحكومية حقوقا كبيرة في التجارة وأعطيت الحق في عقد القروض الكبيرة كما زودت باعداد كبيرة من الأدوات والآلات الزراعية والبذور وبدات المزارع الحكومية في انتاج حبوب فاخرة كما سمنت وربت الماشية الجيدة ولقد مكنها هذا من التغلب على مصاعبها والتحول الى الانتاج الكبير .

ولقد كانت المزارع الحكومية والجماعية الاولى مجرد محاولات على طريق التحول الى الاشتراكية في الزراعة وصدى للثورة الهائلة في العلاقات الاقتصادية وفي كل حياة الفلاح السوفيتي .

ولقد كتب لينين : يجب على دولة البروليتاريا أن تقود التحول الى الزراعة الجماعية على أن يتم هذا بعناية تامة وبالتدريج وعن طريق ضرب المثل وبدون اى ضغط على الفلاح المتوسط (١) كما أكد أن التعاونيات الكاملة يمكن انشاؤها فقط على أسس الاختيار الحر وأن هذه التطورات يمكن أن تعيش وتستقر لانها تتم بوعى وبمشاركة منظمة من الجماهير .

ولقد نادى لينين بالتمسك بمبدأ حرية الاختيار وأشار لينين بوضوح الى أن تعاون الفلاحين لايمكن تركه في حاله بلا مجهود بل أنه يتطلب معاونة دائمة سواء مادية أو تنظيمية أو سياسية .

ولنجاح التعاونيات أوضح لينين ضرورة اقتناع الفلاحين بالخبرة وعلى الطبيعة في مزايا العمل في المزارع الكبيرة .

وعند اختيار الوسائل والمستويات وطرق التعاون يجب أن يؤخذ في الاعتبار الخصائص الوطنية والتاريخية لمختلف المناطق ويجب أن يكون من الواضح تماما ان اجراءات التجميع تتخذ لمصلحة الفلاح وأن الطريق الاشتراكي في الزراعة هو في مصلحة

---

(١) لينين ٤١ — ١٧٤

الفلاح ويكتب لينين « انه لمن المختلف تماما أن نرسم خططا خيالية لبناء الاشتراكية عن ان تبنى الاشتراكية فعلا فى الواقع وبحيث يشترك كل فلاح صغير فى هذه العملية (١) .

وكانت الفكرة التى توجه كل خطط لينين الموجهة للتجميع هى ان الجمهورية السوفيتية تملك كل الامكانيات لبناء مجتمع اشتراكى .

ولقد كتب « ان ثرواتنا الطبيعية واليد العاملة والطاقة التى حررتها الثورة لدى الشعب قادرة على بناء روسيا قوية وقادرة »(٢)

ولقد طور لينين الزراعة السوفيتية على طريق الاشتراكية وزاد قدرتها الزراعية وأصر على أن ترتكز على الكيمياء والرى والميكنة واستخدام انجازات العلوم والخبرات الحديثة .

ويعتقد لينين أن الثورة الثقافية واحدة من الشروط الأساسية لاتمام التطور الاشتراكى للريف ولقد كتب عن هذا « ان الجانب الاقتصادى لهذا العمل التعليمى بين صفوف الفلاحين انما هو تنظيم الجماعات التعاونية فيما بعد » .

وفى مقاله « صفحات من يوميات » قال لينين أن العمال يجب ان يساعدوا الريف بمحض اختيارهم وأن الغرض الرئيسى لعمال المدينة أن يكونوا حاملى أفكار الشيوعية للبروليتاريا الزراعية واضاف أن مساعدة المدينة يجب الا تكون عفوائية بل مخططة ومتتالية ولقد قام لينين بكل ما فى وسعه لحل هذه المشكلة .

وكتبت كروسيكايا فى مذكراتها « ان فلاديمير اليتش كان راقدا ولقد ذكرت له أن الأمريكيين يحاولون التخلص من الأمية قبل عام ١٩٢٧ ، وأنهم رفعوا شعار فليعلم كل متعلم أميا واحدا وهنا لمعت عينا لينين وقال نحن ايضا لن يكون لدينا أميون قبل عام ١٩٢٧ اى فى العيد العاشر لثورتنا اذا أرادت الجماهير أن تتم هذا العمل ولقد اراد أن يكتب مقالة حول هذا الموضوع ثم سألته أن أكتب اياها واراد أن يضيف اليها شيئا ما الا ان المرض هاجمه من جديد ومنعه من ذلك » (٣) .

ولقد صادف تطوير الزراعة على الطريق الاشتراكى مصاعب جمة اذ انه جرى فى ظروف الصراع الطبقى العنيف . ولقد نتج عن تطوير الريف الى الاشتراكية تحطيم آخر واكبر طبقة مستغلة وهى

---

(١) لينين ٤٥ — ٣٧٠ .

(٢) لينين ٣٥ — ٣٧٦ .

(٣) كروبسكايا تعليمات لينين فى مجال الثقافة .

اصدار : ١٩٣٤ صفحة ٧٤ .

الكولاك . ولقد سمى لينين هذا الـكفاح آخر واعنف معـركة مع الرأسمالية الروسية ولقـد حاول الـكولاك أن يجتذبوا الفلاحين المتوسطين الى جانبهـم وحاولوا التـأثير على مخاوفهم على ممتلكاتهم ولكن تطبيق السياسة الطبقية اللينينية مكن الحزب من تقوية تحالفه مع الفـلاحين المتوسطين وأعطـاه الفرصة لجذبهم لصفوفه للاشـتراك معـه فى الكفاح المشـترك من أجل بنـاء الاشتراكية .

ولا شك أن تجربة البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى وغيره من بلاد المجموعة الاشتراكية قد اثبتت صحة نظريات لينين عن التطور الاشتراكى للزراعة .

على طريق لينين

ولاشك أن واحدا من أكبر منجزات الشعب السوفيتى هو وضع نظام المزارع الجماعية (كولخوز) فتجميع ملايين الفلاحين فى مزارع اشتراكية كبيرة هو عمل ضخم وفى أثناء القيام بهذه العملية كان الحزب الشيوعى يسترشد بخطط لينين التى كانت جزءا متكاملا من برنامج بناء الاشتراكية وهذا البرنامج نفسه يحوى خطة كاملة لتطوير الصناعة الاشتراكية وقبل كل شىء الصناعة الثقيـلة حيث انها الأساس القوى للاقتصاد القومى بما فى ذلك الكهرباء والزراعة والتجميع الزراعى على أسس اشتراكية كما يتضمن طرق تنفيـذ الثورة الثقافية .

لقد استدعى انتصار الاشتراكية كفاحا هائلا ولهذا فلقد تطلب المخطط اللينينى فى كل مرحلة تقوية التلاحم السياسى بين الطبقة العاملة والفلاحين على أن يبقى الدور القيادى فى أيدى الطبقـة العاملة تحت قيادة الحزب الشـيوعى . وقال لينين « ان السلطة السوفيتية أعطتنا التحالف بين العمال والفلاحين وهنا تكمن قوته وهذا التحالف هو الضمان الوحيد لانتصارنا » (١) .

ففى البداية حاول الفلاحون الحصول على أسعار أحسن لانتاجهم فكونوا تعاونيات لبيع انتاجهم وتأكدوا من فائدتها فاتجهوا للتعاون فى الانتاج ولزراعة الأرض معا . ولهذا وحـدوا املاكهم الصغيرة للحصول على اراض كبيرة وتمكنوا من شراء واسـتخدام الآلات التى كان من المستحيل الحصول عليها اذا بقوا منفردين .

ولا شك أن النمو والتطور السريعين للصناعة الاشتراكية كان العامل الرئيسى فى انتصار التجميع فى الزراعة ولقـد انتجت

(١) لينين ٤٥ — ٦٨

الدولة السوفيتية آلات زراعية أوتوماتيكية وأسمدة معدنية من مصانعها الضخمة .

ولقد كان تأسيس هذه المزارع الاشتراكية الضخمة هاما جدا لمصلحة العمال الزراعيين لأن هذا هو الحل الوحيد الذى يمكنه أن ينقذهم من الفقر والاستغلال ويقدم لهم الفرصة للتمتع بالثقافة والحياة ولقد أوضح لينين أكثر من مرة أن المنتج الصغير سيظل مفلسا طيلة الوقت .

ولقد كان تأسيس هذه المزارع الاشتراكية الضخمة هاما جدا الى النظام الاشتراكى الذى يسمح لكل عامل زراعى بالاشتراك فى بناء المجتمع الجديد .

وفى عام ١٩٢٧ ارتفع انتاج الاتحاد السوفيتى الصناعى عن مستواه قبل الحرب وكان متوسط معدل نمو الصناعة ٢ر١٨٪ بينما زاد الانتاج الزراعى الأكبر أصلا والمهم جدا ١ر٤٪ فقط ولقد كانت كمية الحبوب تمثل ٣ر١٣٪ رغم أنها كانت تمثل ٢٦٪ قبل الحرب .

فلقد استمرت عملية تقسيم المزارع فوصل عددها فى خلال العشر السنوات الأولى من الحكم السوفيتى ٢٥ مليونا بينما لم يزد عن ١٦ مليونا قبل الثورة وكانت مزارع صغار الفلاحين تعتمد على أدوات بدائية وعلى العمل الانسانى الذى كان من الصعب أن يأتى بنتيجة .

ولقد تحول الموقف الاقتصادى فنمت الصناعة بسرعة بينما تأخرت الزراعة وواجه مؤتمر الحزب الخامس عشر الذى عقده فى ديسمبر ١٩٢٧ هذا الموقف . وحدد المؤتمر المهمة التالية لكى تسير الى جانب تطوير الصناعة الاشتراكية وهى تحويل مزارع الفلاحين الصغار بالتدريج الى مزارع اشتراكية واوضح خطة تقوية وتكثيف المزارع الجماعية والحكومية وحدد الخطوط الواضحة للتجميع فى الزراعة .

ولقد كان هذا المؤتمر فاتحة عهد جديد فى تطور الزراعة حتى أنه سمى بمؤتمر التجميع الزراعى .

وهذه هى واحدة من توصياته ـ « عن العمل فى الريف » .

« فى الوقت الحاضر علينا أن نهتم بتوحيد وتحويل مزارع الفلاحين الصغيرة القريبة الى مزارع جماعية ضخمة على أن تكون هذه المهمة واحدة من الأساسيات فى عمل الحزب فى الريف » ويوضح المؤتمر أن هذا التحول يمكن أن يتم فقط اذا وافق الفلاحون عليه ، وعليه

يعتقد الحزب بضرورة بدء حملة دعائية بسرعة لشرح مزايا التحول التدريجي الى المزارع الجماعية الكبيرة كما يجب تشجيع كل المزارع الجماعية المبتدئة الى مزارع ضخمة .

ولقد ضربت المزارع الحكومية المثل موضحة مدى فاعلية الزراعة الضخمة وساعدت الفلاحين . ولقد انشئت المزرعة الحكومية « جيانت » « العملاق » فى برارى سالسكى بعد انتهاء أعمال المؤتمر الخامس عشر وتحولت الى مصنع للحبوب ولديها المئات من الجرارات وهى تستغل أراضيها البالغة مساحتها ٦٠ الف هكتار وفى عام ١٩٢٩ انتجت ٥ر٣ مليون بود من الحبوب (البود وحدة وزن = ٣٣ كجم تقريبا) وبالاضافة الى زراعة أراضيها فهى تساعد المزارع الجماعية المجاورة فى زراعة ٤٠ ألف هكتار .

وقبل بداية التجميع أرسلت أساطيل من الجرارات يبلغ عدد كل منها ٦٠٠ جرار الى ٧٣ مزرعة حكومية فى أكرانيا والى غيرها من من المزارع الحكومية فى روسيا الاتحادية وعندما قويت هذه المزارع تحولت الى محطات جرارات MTS وفى هذه المحطات جرب الحزب طريقة تنظيم الزراعة الجماعية الكبيرة بواسطة الدولة على أسس تكنيكية عالية . ولقد سهلت معرفة محطات الجرارات الانتقال السريع من الوسائل البدائية الى الفرق الزراعية التى تمكنت من استخدام كل امكانيات الزراعة الكبيرة . ولقد لعبت محطات الجرارات دورا كبيرا فى ربط الصناعة الحكومية بالزراعة الجماعية وفى تدريب عمال المزارع وفى نشر وسائل الصناعة فى محيط الزراعة . وكانت المزارع الجماعية تتعاقد مع محطات الجرارات . وكانت هذه العقود تعكس ارشادات هذه المحطة التى تقضى بالمساهمة فى تطوير كل أنواع انتاج المزارع الجماعية وفى زيادة حجم الانتاج الحيوانى .

وكان ارسال الآلات الحديثة الى الريف عملا ذا أهمية ثورية كبيرة فلقد جعلت الآلات الزراعية الحديثة والجرارات التى جعل استخدامها فى المزارع الكبيرة عمل الفلاحين سهلا ، ورفعت انتاجيتهم ولقد كان العديد من الفلاحين يأتون الى المزارع الحكومية والجماعية الاولى لكى يلاحظوا الجرارات وهنا كانوا يقررون الانضمام الى المزارع الجماعية .

وفى أواسط ١٩٢٩ بدأ الفلاحون المتوسطون الذين كانوا يشكلون أغلبية الفلاحين ينضمون الى المزارع الجماعية وقد كان هذا علامة على التغير الكبير الحادث فى الريف عندما خرجت حركة التعاونيات

عن كونها حركة بعض العمال الزراعيين واصبحت حركة الملايين من الجماهير العاملة في الزراعة .
وازداد عدد ونمو المزارع الجماعيـــة زيادة هـــائلة مع بداية عام ١٩٣٠ وفي فبراير ١٩٣٠ كان ٦٠٪ من الفــلاحين او ما يزيد قد انضموا الى المزارع الجماعية .
وعلى اى الأحــوال فالى جانب هــذه الانجازات حدثت اخطــاء جسيمة ففي بعض المناطق رفعت سرعة التجميع بوسائل غيرطبيعية فنشأت مزارع ضخمة مرة واحــدة بدلا من فرق الزراعة وبدلا من الكولخوز عادت التعاونيات حيث كان كل شيء بما في ذلك الغنم والمعيز والخنازير والطيور ملكية مشاعة .
وللحد من هذه الأخطاء التى تمت فى الفترة الأولى من التجميع اتخذت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى توصية فى ١٥ مارس ١٩٣٠ بشأن موضوع النضال ضد تشويه خط الحزب فى موضوع تطوير المزارع الجماعية . وارسلت اللجنة المركزية تعليماتها لــكل لجان الحزب ومؤسساته كما تم تغيير الموظفين غير القــادرين أو غير الراغبين فى الالتزام بالخط الحزبى .

وشاهد عام ١٩٣١ تطورا جديدا فى حركة تطــوير الزراعة على الطريق الاشتراكى ففى المناطق الرئيسية المنتجة للقمح انضم ٤/٥ الفلاحين وعائلاتهم الى المزارع الجماعية التى أصــبحت مع المزارع الحكومية مصــدرد الانتاج الر يسى للحبــوب والقطن والخضر وحبوب عباد الشمس وغيرها من المنتجات الزراعية .

ولقد ناقش مؤتمر الحزب السابع والعشرين المنعقد فى فبــراير ١٩٣٤ نتائج حركة المزارع الجماعية وقــرر أنه فى خلال الخطــة الخمسية أعيد تنظيم الزراعة تماما وان البروليتاريا قد استطاعت بقيادة الحزب اللينينى أن تقنع الفلاحين بمزايا الزراعة الجماعية والانتاج الجماعى وتبنى الآن نظاما جماعيا جديدا فى الريف
اما الكولاك فقد رفعوا اسلحتهم محاولين مقاومة التجميع فأرهبوا اعضاء المزارع الجماعية البارزين واتلفوا الممتلكات كمــا نشروا الشائعات الضارة . وفى كل مكان زاد الصراع ضد الكولاك مع نمــو حركة التجميع الزراعى .

وبعد النجاح فى سياسة التصنيع والوصول الى انتــاجية عالية استطاع الحزب أن يخلق الظروف الملائمة لتطوير الزراعة على اسس اشتراكية وتحولت سياسة الضغط على الكولاك الى التخلص منهم وانهاء وجودهم كطبقة على اساس وجود التجميع الزراعى

وعنى هذا تغييرا تاريخيا هائلا .

وفى عام ١٩٢٧ انتجت المزارع الحكومية و الجماعية ٣٧٫٨ مليون بود حبوب مباعة وفى عام ١٩٢٩ ـ ١٣٠ مليون بود وفى عام ١٩٣٠ ٤٦٠ مليون بود . وبالطبع لا يعنى التخلص من طبقة الكولاك قتلهم بل لقد وجهوا للعمل لاعادة تثقيفهم طبقيا ولكن هؤلاء الذين انضموا الى المنظمات الارهابية الموالية للثورة المضادة وقاموا بنشاطهم ضد السلطة السوفيتية حوكموا وعوقبوا تبعا للقانون .

وبدأ الحزب صراعا هائلا ضد المراجعين فى مسألة الفلاحين فلقد اكد المراجعون اليمينيون أن دور الكولاك والرأسمالية فى الريف ينفعهم ، بينما نفى المراجعون اليساريون التروتسكيون امكانية أو ضرورة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين .

ولقد أثبتت الاصلاحات الاشتراكية التى جرت فى الريف عبث آراء التروتسكيين عن التعارض الذى لا يمكن حله بين الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين واسكتت أعداء اللينينية المنادين بأن الطبقة العاملة لا يمكنها قيادة الفلاحين لبناء الاشتراكية .

أما المراجعون اليمينيون الذين لم يؤمنوا أصلا بامكانية بناء الاشتراكية فلقد عارضوا بناء صناعة ثقيلة ونفوا الضرورة لتجميع الفلاحين فى مزارع جماعية ونفوا ضرورة التخلص من طبقة الكولاك وارادوا أن يحطموا خطة لينين لبناء الاشتراكية واعتبروها مجرد خطة لوصل المدينة بالقرية عن طريق التبادل المشترك وحاولوا أن يبرزوا مشكلة التبادل التجارى بدلا من مشكلة الانتاج الزراعى وطالبوا برفع الحظر على مزارع الكولاك وكان هذا فى الواقع صدى للنظريات البرجوازية الاصلاحية عن التطور السلمى من الرأسمالية الى الاشتراكية وعن ثبات مزارع العمال الصغيرة .

ولقد قاوم الحزب كل النظريات اللاماركسية فى موضوع الزراعة والفلاحين وجند كل العمال لتنفيذ سياسة التصنيع والتجميع الزراعى .

ولقد شغلت مواضيع تنظيم مسابقات الانتاج الاشتراكية حيزا كبيرا من مجهود الحزب .

ولقد اصبحت هذه المسابقات محبوبة جدا فى الصناعة والزراعة ولقد اصبحت المساعدة التى تقدمها المصانع للمزارع الجماعية وسيلة اخرى للاتصال والربط بين المدينة والقرية فلقد درب عمال المصانع سائقى العربات وارسلوا فرقا الى الريف لاصلاح الماكينات الزراعية وساعدوا فى بناء محطات الكهرباء وفى استخدام

انجازات العلم والتكنولوجيا الحديثة فى اعمال المزارع وارسلوا افرادا للقيام بالدعاية السياسية والثقافية والعلمية .

وفى عام ١٩٢٩ أرسل الحزب ٢٥ الف عامل طليعى قادرعلى تنظيم المزارع الجنوبيةوقد قاموا بنشاطحزبى كبير واكتسبوا ثقةوتأييد كل الشرفاء فى المزارع الجماعية . وأشار برنامج الحزب الشيوعى أن اقامة مزارع اشتراكية كبيرة جماعية وحكومية فى الريف أدى الى ثورة بعيدة المدى فى العلاقات الاقتصادية وفى حياة الفلاحين نفسها ولقد أدى انتصار المزارع الجماعية الى تغيير وضع العمال الزراعيين تماما واستقرت تماما الملكية الجماعية لوسائل الانتاج وكنتيجة لهذا تحولت الملكيات الصغيرة التى تتولد منها الراسمالية الى نموذج اقتصادى مختلف تماما وهو الاقتصاد الاشتراكى الضخم وهكذا أغلقت كل الأبواب أمام امكانية عودة الراسمالية وتكونت فى الريف طبقة جديدة وهى طبقة المزارعين الجماعيين .

وتم التغلب على الفروق التى فصلت بين القرية والمدينة فى خلال قرون طويلة وبدأ الاقتصاد الزراعى يتطور على أسس اشتراكية مماثلة لأسس تطوير الصناعة . وتم انجاز بناء اقتصاد وطنى اشتراكى متكامل واقترب المستوى المادى والثقافى للفلاحين من مستوى الطبقة العاملة .

ولقد أثبتت الزراعة الاشتراكية متانة بنائها فى السلم وفى سنوات الحرب حيث قدمت المزارع الجماعية والحكومية كل الطعام اللازم لجبهة القتال والمؤخرة كما قدمت المواد الخام للصناعة ويجدر بالذكر أن نشير الى أن المزارع الجماعية فى كثير من الحالات استمرت فى عملها حتى بعد وقوعها تحت سيطرة العدو وكانت تمد الفدائيين بالأغذية التى يحتاجونها .

كما تبدت ميزات الأسس الاشتراكية للاقتصاد الزراعى بوضوح فى سنوات ما بعد الحرب الصعبة فلقد تم اصلاح كل تلف فى فترة قصيرة وارتفع الانتاج الزراعى وتحسنت حالة الأفراد المالية .

وفى عام ١٩٦٧ بلغ عدد المزارع الجماعية فى الاتحاد السوفيتى ٣٦٫٨٠٠ ووصل عدد المزارع الحكومية الى ١٢٧٧٣ وكل منها منشأة زراعية ضخمة وفى المتوسط تمتلك المزرعة الجماعية أكثر من ٦٠٠٠ هكتار بينها مالايقل عن ٣٠٠٠ هكتار صالحة للزراعةوتعمل على هذه الأرض ٤٢٠ عائلة وتمتلك كل من هـذه المزارع فى المتوسط ٤٠ جرارا (بمعدل ١٥ حصان للجرار) وما يربو على ١٠٠٠ راس ماشية وعدد ضخم من الغنم والخنازير والطيور المنزلية .

أما المزارع الحكومية فتستغل كل منها في المتوسط ٧٣٠٠ هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة ولديها حوالي ٢٠٧١ رأس ماشية بما في ذلك ٧٤٢ بقرة بالاضافة الى ١٠٥٠ خنزير و ٤٠٦٠ من الغنم والمعز و ١١٤ جرارا (بمعدل ١٥ حصان للجرار) ويبلغ عدد العاملين بالمزارع الحكومية ٦٥٠ شخصا في المتوسط .

كان لينين يفترض أن الصناعة قادرة على ان تمد البلاد بنحو ١٠٠،٠٠٠ جرار . وفي أواخر عام ١٩٦٧ أصبح لدى المزارع الجماعية الحكومية ١٧٣٩٠٠٠ جرار ، ٥٥٣،٠٠٠ آلة حصاد ، ١،٠٥٤،٠٠٠ لوري وعدة ملايين أخرى من الآلات الزراعية المختلفة .

ولأن المزارع الجماعية الحكومية كلها تتغذى بالكهرباء ، فقد وصل الاستهلاك السنوي من الطاقة الكهربائية في البلاد الى ٢٩ مليار كيلووات ساعة . وربما تبدو هذه الأرقام غير ضخمة ولكن بالرجوع الى عام ١٩٤٠ أى قبل الحرب البطولية العظمى فسوف نجد أن استهلاك البلاد السوفيتية من الكهرباء بلغ ٥٣٨ مليون كيلووات ساعة فقط . أما الآن ففي البلاد ما يقرب من ثلاثة ملايين محطة كهربائية مستعملة في الحقول او في المشاريع المتعلقة بها . ومن الجلي أنه يمكن استخدام اجهزة التليفزيون والثلاجات والغسالات الكهربائية كلما قل سعر الطاقة الكهربائية وكلما كانت في متناول الأيدي .

وقد أوضح لينين أن المزارعين ايام روسيا القيصرية عاشوا في الظلام والجهل لأنهم حرموا من التعليم والثقافة . أما في ظل الثورة الروسية ومن خلال نظام المزارع الجماعية فقد حدث تحول مذهل . فهم الآن على درجة كبيرة من الثقافة ، يستغلون انجازات العلم والتكنولوجيا في كل ما يتصل بحياتهم اليومية .

ويوضح انموذج الحياة اليومية بجلاء أن الشخصية الاشتراكية لا تختلف في القرية عنها في المدينة . في المزارع الجماعية ـ اجتاز ثلث الأفراد المرحلة الثانوية أو ما بعدها مع ملاحظة ان تعداد هؤلاء الأفراد المكونين المزرعة الجماعية والمشتغلين بالزراعة يبلغ ٧٤٥،٠٠٠ علاوة على ٣،٥٠٠،٠٠٠ من سائقي الجرارات واللوريات .

ان ميكنة الزراعة ، مع ازدياد نسبة التعليم ، وكذلك التحولات الجذرية التي حدثت في الإقتصاد قد حول العمل الحقلي الى نوع من العمل الصناعي .

وقد حقق الانتاج الزراعي ـ معتمدا على المزارع الجماعية الحكومية ـ تزايدا مطردا ، فقد ازداد متوسط الانتاج السنوي

من القمح فى الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٦٥ مقارنا بسنوات ما قبل الثورة ١٩٠٩ ـ ١٩١٣ بحوالى ٨٠ فى المائة ، وفى القطن ٤ر٧ مرات وفى قصب السكر ٦ أضعاف تقريبا وفى الألبان ٢ر٢ مرة ، أما فى اللحوم فبلغ الضعفين ، وقد بلغت قيمة المنتجات الزراعية فى الفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ فى المتوسط ٠٠٠ر٧٥ مليـــون روبل ثم زيادتهم بمقــدار ٠٠٠ر١٠ مليون روبل ، أى بمعدل ١٥ فى المائة ، أما اذا قدرنا قيمة الانتاج الزراعى بالنسبة لتعداد السكان فسوف نجـــده قد ازداد بنسبة ١١ فى المائة فى السنوات الثلاث الماضية .

ان حجم الزيادة فى الانتاج الزراعى فى الاتحــاد السوفيتى قد تضاعف ثلاث مرات بينما عدد العـــاملين فى الزراعة قد قل الى النصف .

وقد تطلب التوسع فى ميكنة الزراعة وكهربتها مزيدا من الاستهلاك فى المواد الكيماوية . وقد تقرر انفاق ما قيمته ٤١ مليون روبل من ميزانية الحكومة المركزية بالاضافة الى ٣٠ مليون روبل من المــزارع الجماعية فى الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠ على شراء الآلات وتم الاتفاق على كافة المشاريع الزراعية الأخري . ويمثل هذا المبلغ قيمة ما أنفق على الزراعة فى ١٩ سنة من سنوات ما قبل الثورة . وتنتج المصـــانع السوفيتية كل كميات الآلات المطلوبة لزراعة القمح وقصب السكر والبطاطس والقطن والدرة ، مصممة بحيث تحرث وتحصد النباتات وسائر المحاصيل الاخرى كما أنها تستخدم آليا فى تهذيب النبات وأقلمته .

وكما قلنا فان الكيماويات ضرورية للزراعة ، وسوف يبلغ قيمة المستهلك من الأسمدة العضوية فى عام ١٩٧٠ ما يقرب من ٥٥ مليون طن مقابل ٢٧ مليون طن فى عام ١٩٦٥ و ٤ر١١ مليــون طن فى عام ١٩٦٠ وسوف يحصل العمال الزراعيون على مزيد من المبيـــدات الحشرية والأدوية المبيدة للاعشاب الضارة .

وقد كتب لينين كثيرا عن أهمية التوسع فى الأراضي الزراعية ، وتبعا لذلك فان الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية قد نظمـا عملية استصلاح الأراضى ، وقد ازدادت الأراضى المستصلحـة من ٤ ملايين الى ما يقرب من ١٠ ملايين هكتار .

وتقرر فى الاجتماع السنوى للحزب الشيوعى السوفيتى والذى عقد فى مايو ١٩٦٦ أن تزداد كمية الأراضى المستصلحة فى الفتـرة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٥ من ٧ ـ ٨ ملايين هيكتار . وبذلك فســوف يبلغ مجموع المساحات المستصلحة من ٣٧ ـ ٣٩ مليون هيكتار .

وقد اشار لينين مرارا الى ضرورة ممارسة الانجازات العلمية الحديثة والخبرات المتقدمة فى المزارع الناجحة القومية . ولذلك فقد استحدث العلماء السوفيت طرقا جديدة للحصول على أحسن نتاج من الارض المزروعة ، وقد اكتشفوا الافا من الانواع الجديدة لمختلف النباتات ، وأوجدوا سلالات افضل من الحيوانات .

وتهتم الحكومة السوفيتية بزيادة الثروة فى المزارع الجماعية كما انها تهتم ايضا بزيادة الدخل الشخصى للفلاح . وباستمرار التحسن فى المستوى المعيشى للمزارعين ومع استمرار التقدم فى المزارع الجماعية فان دخل الفرد سيرتفع ٥ر٨ مرات أعلى مما كان عليه قبل الثورة .

وتقتطع المزارع الجماعية جزءاً من ميزانيتها لاقامة المبانى ودور الثقافة ومختلف الانشاءات الأخرى . ولكى تكون القرى على نمط أوروبى فان البيوت الجديدة قد أمدت بالمياه المجانية والتدفئة المركزية والكهرباء . وتقدم وجبات مجانية للفلاحين فى المزارع الجماعية الممتازة . وهناك تقام كثير من دور الحضانة ورياض الاطفال .

ان الهوة بين العمال والفلاحين تتضاءل ليس فقط فيما يختص بالانتاج وانما فى الثقافة ايضا وفى الحياة اليومية .

وطبق نظام منح مكافأة شهرية عن العمل على حسب الأجر وبحسب نوع العمل وذلك بالنسبة لكل الاعمال وكافة نواحى الانتاج .

وتعتبر هذه الطريقة احدى الطرق المتبعة لرفع كيفية ونوعية الانتاج ، وهناك — ايضا — طريقة اخرى : تعميم الخدمات الاشتراكية ، ويعنى هذا ايجاد المسكن الخاص المريح ، والجمعيات الاستهلاكية ، وتحسين كافة المتطلبات اليومية والتوسع فى انشاء معاهد الاطفال وتحسين وسائل التثقيف الجماهيرى ، والاهتمام بالاجازات والخدمات الطبية والتوسع فى بناء معاهد الثقافة .

ويطبق على الفلاحين بنجاح ، نظام خاص بالمعاشات يسرى فى كل المزارع الجماعية التى يتزايد عددها عاما بعدعام حيث لاتختلف حياة الفلاحين فيهـا عن سكان المدن . ولكى نرى ذلك فلنأخذ مثلا قرية شليا خوفيا مركز برشاتسكى فى مقاطعة فينتسيا حيث تقع المزرعة الحكومية الجماعية التى نالت ميدالية الشرف فى الاجتماع العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، يوجد فى هذه القرية شوارع جميلة وعلى جانبيها بيوت على

احدث طراز . تمتاز بذوق بنائها الخارجى وحسن تخطيطها من الداخلى ، تشمل مجموعة من الحجرات تكفى بجميع متطلبات الحياة الحديثة . لقد تغيرت صورة القرى وكذلك حال الذين يسكنونها منهم من الاخصائيين والمدرسين وفيها مكتبة تضم أكثر من ١١٫٠٠٠ كتاب غير المكتبات الخاصة التى يمتلكها الفلاحون.

ويبلغ ما يحصل عليه الفلاح فى المتوسط ١٠٠ روبل شهريا علاوة على عائدات ، تشكل ٣٠ فى المائة من مخصوصياته فى الميزانية الخاصة للمزرعة ، وتشمتل المزارع الجماعية الحكومية على مساحات اضافية ملحقة بالمنازل للمنافع العامة ، كانشاء حديقة خاصة وتربية الحيوانات الأليفة والدواجن والطيور .

لقد أرست الخطة التعاونية التى وضعها لينين دعائم الاشتراكية الزراعية فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وكذلك أدت الى رفع مستوى المعيشة فى البلاد .

قانون اشرافى ..

لقد أثبت نجاح نظام المزارع الجماعية صحة التعاليم الماركسية اللينينية والتى تؤكد ان التحولات الاشتراكية فى الزراعة تمثل ضرورة تاريخية ومطلب اقتصادى يجب أن تتضافر من أجله قوى الانتاج فى المجتمع كله .

لذلك تحققت نظريات ماركس ولينين فى بلاد اشتراكية اخرى وبذلك أحدثت الاصلاحات الزراعية التى تمت صحوة عميقة بين جموع الفلاحين أدت بهم الى مزيد من التعاون .

وقد أثبتت الخبرة المكتسبة من انشاء المزارع الجماعية فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى وفى البلدان الاشتراكية الاخرى ان هناك عدة قوانين تتحكم فى هذه العملية . فلو قلنا مثلا ان التعاون يؤدى للاشتراكية فسيكون على الجمهوريات البروليتارية والمدن الصناعية – بفهم وادراك – ان تزيد فى المساعدات المادية والمالية ثم المساعدات الزراعية للفلاح الذى لايستطيع بسرعة استيعاب الانتاج الواسع بكميته وبتقدمه الهائل . ولذلك أنشأت هيئة اشراف تنظيمية . وهذه الهيئة هى وحدها ، القادرة على استيعاب هذا التقدم وهى تنظم العمل فى المجالات المختلفة ، وتؤسس النظام الاشتراكى من الأعمال الجديدة وتبث روح السلوك الاشتراكى بين الجماهير ، وأثناء ذلك ، تقوم بمنح خبراتها ومعرفتها ومهارتها التنظيمية الى جموع الفلاحين ، وبذلك – وعن طريق التوجيه – تضع الفلاحين فى موقع الاستيعاب الكامل للخبرات

الضخمة فى الزراعة وأن تساعدهم فى الحفاظ عليها وبذلك تحضهم ضد بقايا الراسمالية فى الاقتصاد وفى عقول الناس .
ونجاح هذه العملية المتشابكة يعتمد بدرجة كبيرة علىالاحزاب الشيوعية وعلى الشيوعيين انفسهم ـ ثم على انتهاجهم سياسة قويمة فى البلاد . كذلك تعتمد على ترابطهم وتنظيمهم بين جماهير الفلاحين وعلى نضالهم الصلب ضد البيروقراطية والمكتبية والفكر الانتهازى .
ولقد اثبت نجاح التعاون الزراعى فى البلدان الاشتراكية انه أفضل بكثير من نظيره المتبع فى البلدان الراسمالية والدليل على ذلك هو أن الاشتراكيين ينتجون الان نصف محصول العالم من القمح .

ولقد اكتشفت الكتل العمالية والشيوعيين من البلاد الأخرى فى تعاليم لينين وفى الخبرات الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى الاجابة على سؤالهم : كيف يستطيعون بناء الاشتراكية فى بلدانهم أن هذا لايعنى ـ بالطبيعة ـ ان تطبق الطرق السوفيتية حرفيا وآليا فى كل البلاد الاشتراكية ، لاننا اذا فعلنا هذا فاننا نتخلى عن أهم أسس النظرية اللينينية الماركسية والتى تؤكد النظر الى اعتبارات كل امة على حدة .. تاريخها .. ظروفها الاقتصادية .. ثم خصائصها الاخرى .. هذا بالنسبة لكل بلد على حدة .
وليكن فى الاعتبار ان عملية التحول الزراعى فى تلك البلاد تحدث فى ظروف تاريخية تختلف فى نواحى كثيرة عما كانت فى الاتحاد الاتحاد السوفيتى .

لقد كان الاتحاد السوفيتى محاطا بدول راسمالية عدوانية من كل الجهات ، ولذلك فقد كان عليه أن يعتمد على قوته الذاتية وأن يستخرج منها مصادر التصنيع ووسائل تجميع الزراعة وكان هذا يتطلب حرصا عنيفا وتضحيات أعنف من جانب الشعب السوفيتى . اما الشعوب الديمقراطية ـ الآن ـ فهى فى وضع اكثر ملاءمة مما كانت عليه جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وليس عليهما ان يقوم بهذه التحولات معتمدين على انفسهم فقط ، ولكنها موجوده بين أمم اخرى كثيرة تشترك معهم فى نفس الاهداف ، وعليهم ان يساعدوا بعضهم البعض .. وبالتالى فان هذا سوف يجعلهم قادرين على حل جميع المشاكل ـ باقل صعوبة ممكنة ـ التى تعترض نظام تجميع الأراضى الزراعية .
وسوف تعانى الشعوب الديمقراطية صعوبات فى طريق التحول

الاشتراكي ، وعلى خلاف ما انفرد به الاتحاد السوفيتي — نظرا للظروف التاريخية — فان عملية تجميع الفلاحين فى كل البلدان الاشتراكية ، يجب أن تتم فى البداية ، مع الحفاظ على الملكيـــة الخاصة للارض . ولا بد من التنويه بأن هذا لا يعارض التعاليم الماركسية اللينينية لان لينين قد أشار الا أن تأميم الارض بمجرد حدوث الثورة ليس متاحا بالنسبة لبعض البلاد .

ولا تحدث التحولات الاشـــتراكية فى الزراعة على نمط واحد بالنسـبة لكل البلدان الاشتراكية وكذلك يمكن أن تكون وســـائل وطرق التجمع مختلفة . ولذلك ، على كل بلد اشتراكى ان يدرس تاريخه ويستوعبه ثم يستمد منه وسائله الخاصـــة فى تطبيقاته للاشتراكية نظريا وعمليا . وهــذا لاينفى — بل على العكس من ذلك يؤكد وجود خطوط تظنيمية عامة فى مجالات الانتــــــاج المختلفة بالنسبة لكل البلاد الاشتراكية على السواء . ومن هذه الخطوط العامة : التحول التدريجى من لاقتصاد الريفى الفردى الى الاقتصاد الريفى الجماعى لاشتراكى — أشكال متعــددة من مراحل التجمع يجب ان تمارس ابتداء من اقل صورها حتى تصل فى النهاية ال ى التجمع الكامل — تنظيمات ثابتة ودائمة للانتاج —

وقد أثبتت الخبرة الطويلة فى البلدان الاشتراكية صحة أقوال ماركس ولينين عن تشابك وصعوبة وطول عملية التحول نحو ايجاد المزارع الجماعية « ان هذا التحول العظيم الهائل في حياة عشرات الملايين من الناس من مزارع صغيرة مجزاة الى مزارع جماعية كبيرة لابد وأن تصاحبه تحولات جذرية فى حياة الفلاحين وفى عاداتهم
لابد وأن تصاحبه تحولات جذرية فى حيـــاة الفلاجين وفى عاداتهم
الحياة » . (١)

لقد حدث هذا التحول فى روسيا فى مدى عشرين عاما بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى ، أما فى بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا فقد تم فى مدى عشر سنين بعد الثورة . وفى بلدان اشـــــتراكية اخرى لم يتم التحول الى المزارع الجماعية حتى الآن .

والأيديولوجية مستمرة فى افتراء الاكاذيب المضادة للحقائق ، فهى تقول ان الاحزاب الشـيوعية تفرض بالقوة التجمعات الاشتراكية . ويتناسى هؤلاء الناس حقيقة ان الاقتصاد الاشتراكى يحتم أن تكون هناك اشتراكية فى الزراعة ، وان التغيير العميـــق لابد أن يحدث حيث يوجد ملايين من الفقراء والبسطاء يأملون فى حيــــاة اشتراكية جديدة .

---

(١) لينين : الاعمال الكاملة ، مجلد ٢٧ ، صفحة ٢٥٧ .

وعندما تراعى الأحزاب الشيوعية والكتل العمالية مبادىء لينين بأن يكون التعاون اختياريا ، فانهم بذلك يساعدون ويشجعون كتل الفلاحين على الانطلاق نحو التحول التاريخي والطبيعى ، وبذلك يكونون هم أنفسهم حافرى قبور البرجوازية وخالقى الاشتراكية الجديدة فى جميع أنحاء البلاد .

وقال لينين أن نظام العمل الجديد لم يهبط من القمر ولم يولد من حسن النوايا ، لقد انصهر فى بوتقة الممارسة الجادة لتقوية المزارع الجماعية وتكوينها ، ووجد من خلال الممارسة الجادة للتطبيقات الاشتراكية ومن خلال النضال ضد بقايا الملكية الصغيرة. وأوضح أيضا أنه ما من نظام جديد والا ويقابل بالمعارضة والصعوبات والحرب ، وعليه فان التحول نحو المزارع الجماعية لا يقلل بل يزيد مئات المرات من مسئولية الحكومة والاحزاب فى سبيل مزيد من النجاح والدعم للمزارع الاشتراكية .

ومن الطبيعى أن صور التعاون البسيطة من الفلاحين تؤتى ثمارها على نطاق ضيق بالنسبة للمزارع ولكنها تمثل خطوة أولى فى الطريق نحو انطلاقة الانتاج فى العمل الزراعى . أن استخدام القوى المنتجة فى صورتها الصحيحة يمكن أن يتم عن طريقه استخدام الآلة . لأنها لا تسهل العمل على الفلاحين فقط ولكنها يمكن أيضا أن تساعد فى اتمام العمل فى المساحات الشاسعة فى المزارع الجماعية .

وفى فترة تاريخية قصيرة عبر أولئك الذين كانوا يحيون فى روسيا القيصرية ، وتحت الاستعمار .. الطريق – من الاقطاع والاستعمار البغيض والعبودية الى الاشتراكية . أزبيكستان ، كازاخستان ، تاجستان كيرخستان ، تركمستان ، كلها .. تمارس الآن الصناعة والزراعة الناجحة والثقافة الاشتراكية .. وهذا يقدم الدليل الأكيد لنظرية لينين الداعية لأن تساعد الدول الاشتراكية المتقدمة البلاد الأخرى المتخلفة فى الماضى حتى تصل الى الاشتراكية تاركة وراءها الراسمالية البالية .

ان التحول العظيم الذى حدث فى الاتحاد السوفيتى أو النجاح الباهر الذى حققه نظام المزارع الجماعية والطريق العظيم الذى عبرته الشعوب الروسية يمثل عنصرا جوهريا لشعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . ان شعوب هذه البلاد يعرفون الآن من هذا المثل كيف يحدثون هذا التحول وكيف يرفعون مستوى اقتصادياتهم وثقافاتهم .



(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)